جـامعة الشهيد حمه لخضر – الـوادي

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

مذكرة بعنوان

كتابات الرحالة حول الجزائر في الفترة الحديثة

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

الطالبتان:

✓ نجاة بن فاطمة

✓ نجاة ناجي

الأستاذ المشرف:

محمد الشرعي بن معيزه

الأستاذ	الصفة	الجامعة
د. معاذ عمراني	رئيسا	جـامعة الشهيد حمه لخضر – الـوادي
أ. محمد الشرعي بن معيزة	مشرفا ومقررا	جـامعة الشهيد حمه لخضر – الـوادي
أ. محمد حركات	عضوا مناقشا	جـامعة الشهيد حمه لخضر – الـوادي

الموسم الجامعي: 1438-1439هـ / 2017- 2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

بفضل المولى عز و جل و بتوفيق منه تمكنا من تقديم هذا العمل المتواضع

فالحمد و الشكر لله.

كما لا يفوتنا أن ننوه بالذين كان لهم الفضل سواء من قريب أو من بعيد

و بالامتنان على ما قدموه لنا من المعونة و المساعدة و النصح

و المشورة مما كان له الوقع الحسن على قلوبنا و الحرارة الكبيرة التي غذت إرادتنا للخروج بهذا العمل المتواضع و البسيط، فلهم جميعا نقدم كلمة شكر و تقدير، خاصة الاستاذ المحترم:

"محمد الشريف بن معيزة".

و الذي كان بتوجيهاته و ملاحظاته و نصائحه القيمة قائدا لهذا العمل المتواضع،

وإلى كل من ساعدنا .

فهرس المختصرات

تح	**تحقيق**
تر	**ترجمة**
تع	**تعريب**
ج	**جزء**
د.س. ن	**دون سنة نشر**
ط	**طبعة**
د–ط	**دون طبعة**
ص	**صفحة**
م	**ميلادي**
هـ	**هجري**
ص–ص	**من صفحة إلى صفحة**
P	**Page**

مقدمة

اهتم الرحالة من مختلف أنحاء العالم العربي بزيارة كافة المناطق العربية، وعملوا على توثيق العديد من المشاهدات والأحداث والأشياء التي تعرفوا عليها، أو شاهدوها أو تعاملوا معها في رحلاتهم وكان المغرب العربي محطة هامة لرحلاتهم وخاصة الجزائر، وقد ساهم العديد من الرحالة باختلاف أجناسهم وأصنافهم مساهمة فعالة في اكتشاف تاريخ الجزائر وكتابة معالمه.

1- دواعي اختيار الموضوع.

يعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع إلى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية، فالذاتية متمثلة في رغبتنا لدراسة هذا الموضوع من خلال كتابات الرحالة مع إلقاء الضوء على ما احتوته من انطباعات حول مدينة الجزائر عموما وكذلك تشجيع الأستاذ المشرف لنا بدراسة هذا الموضوع، أما الموضوعية فتتمثل في جدة الموضوع مع قلة الدراسات التي تناولته فأغلب الدراسات كانت غامضة، ولكنها لم تكن محل دراسة ولم يتم التركيز عليها بصورة كاملة ومحاولة منا لاستغلال هذا الرصيد من الكتابات والتعامل معها بحذر وموضوعية ومحاولة تسليط الضوء على هذه الفترة والتي تعتبر من أهم الفترات التي اهتمت بها الكتابات سواء العربية أو الأجنبية.

2-الاشكالية.

من خلال دراستنا لهذا الموضوع برزت لنا الإشكالية الرئيسية المرفق بتساؤلات فرعية لمعالجة هذا الموضوع.

ماهي صورة الجزائر من خلال كتابات الرحالة ؟

وقد تولدت عن هذا الإشكال تساؤلات فرعية نذكرها:

- فيما تمثلت كتابات الرحالة العرب حول الجزائر في الفترة الحديثة؟
- كيف كانت كتابات الرحالة الأجانب؟
- ماهي الجوانب والمجالات التي تناولها كل من الرحالة العرب والأجانب في كتاباتهم؟

3- المنهج المتبع.

وللإجابة عن إشكالية الدراسة اعتمدنا على المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي لوصف مختلف الجوانب والمجالات التي تحدث عنها مختلف الرحالة في كتاباتهم حول الجزائر والذي يتناسب مع طبيعة الموضوع بالإضافة إلى مناهج ثانوية كالمنهج الاستقرائي من خلال مناقشة كتاباتهم واستخراج الحقائق منها.

4- الإطار الزماني .

أما الإطار الزماني للبحث فقد حددته طبيعة الموضوع وذلك بالالتزام بالفترة الزمنية وهي فترة الوجود العثماني في الجزائر .

5-الأهداف

- المساهمة في اثراء المكتبة الجزائرية بالدراسات الخاصة بمدينة الجزائر وما كتبه الرحالة عنها
- تقديم صورة واضحة وموضوعية وشاملة حول هذا الموضوع

6-خطة الدراسة:

وقسمنا موضوع بحثنا إلى مدخل وفصلين: وكل فصل يحتوي على مباحث، بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة المدخل تناولنا فيه تاريخ الرحلة وتطورها بداية من المفهوم اللغوي والاصطلاحي للرحلة ثم الرحلة في القرآن الكريم بعد ذلك تطرقنا إلى مفهوم أدب الرحلة وجذور الرحلة (نشأتها) ثم دوافعها وانواعها وأهميتها.

أما الفصل الأول : الجوانب التي تناولها الرحالة العرب في كتاباتهم حول الجزائر باختلاف جوانبها وتضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث : المبحث الأول: الجانب الجغرافي والعمراني وضم كل مبحث مطلبين، أما المبحث الثاني: الجانب السياسي والاقتصادي وضم كل مبحث مطلبين والمبحث الثالث: الجانب الاجتماعي والثقافي وكل مبحث ضم بدوره مطلبين.

أما الفصل الثاني فقد أبرزنا فيه المجالات والجوانب التي تناولها الرحالة الأجانب في كتاباتهم حول الجزائر وتضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث: المبحث الأول: الجانب الجغرافي والعمراني

وضم كل مبحث مطلبين، أما المبحث الثاني: الجانب السياسي والاقتصادي وضم كل مبحث مطلبين، والمبحث الثالث: الجانب الاجتماعي والثقافي وكل مبحث ضم بدوره مطلبين.

7- قراءة في أهم المصادر والمراجع المعتمدة في إنجاز الدراسة

إستندنا في إنجاز موضوعنا على مجموعة من المصادر والمراجع تنوع كتابها بين عرب وأجانب رحالة ومؤرخين ومن بين المصادر:

عبد الله بن محمد العياشي وكتابه الرحلة العياشية1661-1663م، والحسين الورتلاني و كتابه نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والإخبار المشهورة بالرحلة الورتلانية،

أما المراجع العربية فأهمها: بنور فريد: الجواسيس الفرنسيون في الجزائر 1782-1830ومولاي بالحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، والعربي ايشبودان: مدينة الجزائر تاريخ عاصمة وجيمس ولسن ستيفن: الأسرى الأمريكان في الجزائر1785-1797 .

8- الصعوبات:

من الطبيعي أن يواجه أي باحث أثناء إنجاز بحثه العديد من الصعوبات والعراقيل التي تقف عائقا في مسيرة بعض جوانب الموضوع ومن أبرزها:

- عدم تمكننا من التعامل بكثرة مع المصادر الأجنبية.
- أن أغلب المصادر المعمول بها مادتها الخبرية ليست معنونة مما صعب علينا إيجاد ضالتنا فيها.
- أن هذه المصادر مكتوبة بأسلوب غير أكاديمي هذا يجعلها تتطلب الوقت أكثر للترجمة مما يزيد من صعوبة البحث.
- شساعة وتشعب الموضوع مما جعلنا لم نستطع التحكم في كل جزئية من جزئياته

وفي الأخير نتقدم بالشكر للأستاذ المشرف لما له من فضل في توجيهنا والاشراف ومتابعته لهذا البحث خطوة بخطوة فلولا ملاحظاته لما ظهر البحث في ثوبه هذا، ونرجو أننا قد وفقنا في

الإلمام ولو قليلا بجوانب الموضوع ولو وفقنا فذلك فضل من الله، وإن وجد خلل فنسأل الله الغفران وهو ولي ذلك والقادر عليه وهو الهادي إلى سواء السبيل.

مدخل: تاريخ الرحلة وتطورها

1- تعريف الرحلة.

2- مفهوم أدب الرحلة.

3- جذور الرحلة.

4- دوافع الرحلة.

5- أنواع الرحلات.

6- اهمية الرحلة.

1-تعريف الرحلة:

أ-الرحلة في اللغة:

جاء في معجم الوسيط في مادة (رحل) مايلي: رحل عن المكان رحل ورحيلا وترحالا، الرَحال: العرب الرَحل: الذين لا يستقرون في مكان ويجلبون بماشيتهم، حيث يسقط الغيث وينبت المرعى [1]، والرحلة: الارتحال جمع رحل، كما ورد في قوله تعالى ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢﴾[2] حيث حفيت مادة رحل بشرح واف في العديد من المعاجم العربية فقط، جاء في لسان العرب: الترحيل والرحالة بمعنى الأشخاص ويقال رحل الرجل اذا سار، رحلته أنا ورجل رحول وقوم رحل، أي يرتحلون كثيرا ورجل رحال: عالم بذلك مجيد له.[3]

وفي محيط الفيروز ابادي: ارتحل البعير: سار ومضي، والقوم عن المكان انتقلوا، كترحلوا والاسم: الرحلة والرحلة بالضم والكسر، او بالكسر: الارتحال وبالضم الوجه الذي تقصد والسفرة الواحدة.[4]

فقد تعددت مفاهيم الرحلة، غير أنها تصب في مفهوم واحد وهو الترحال أي الانتقال من مكان الى آخر، فاللغة العربية بحر واسع وعميق بالمعارف والعلوم المختلفة، ونجد أن لفظ الرحلة في موضع آخر،" والترحل والارتحال: يقصد به الانتقال، وهو الرحلة اسم للارتحال للمسير..."..[5]

---

[1]- عبد الله كروم: **الرحلات بإقليم توات دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات**، دار حلب، الجزائر، (د-ط)،2007،ص 33.

[2]- سورة قريش: الآية {1.2}.

[3]- ابن منظور: **لسان العرب**، تح: عبدالله علي الكبير، ج18، دار المعارف، القاهرة، (د-ط)،(د-س)، ص 1609.

[4]- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي الشيرازي: **القاموس المحيط**، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط8، 2005 م، ص 1005.

[5] - ابن منظور: **المصدر السابق**، ج18، ص 1609.

ب- الرحلة في الاصطلاح:

عرف الامام الغزالي السفر والرحلة بأنهما " نوع حركة ومخالطة أو: نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة " وأوضح" أن القواعد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب أو طلب، وأن الانسان لا يسافر الا في غرض او لعرض هو المحرك، والرحلة كتابة يحكي فيها الرحالة أحداث سفره وما شاهده وعاشه، مازجا ذلك بانطباعاته الذاتية حول المرتحل اليهم وإنجاز الرحلة-كتاباتها- يتطلب ان يكون الرحالة ذا مستوى ثقافي معين يؤهله لنقل احداث سفره الى كتابه، والرحلة بهذا المعنى أي بما هي كتابة وخطاب حال انشغال واهتمام الباحثين بها.[1]

ويشترك المفهومان اللغوي والاصطلاحي للرحلة في الحركة على انها لون ادبي ذو طابع قصصي يحمل فائدة للمؤرخ والباحث والجغرافي وعالم الاجتماع وغيرهم، وهي ضرب من السيرة الذاتية في مواجهة الظروف والاوضاع واكتشاف المعالم والاقطار ووصفها والحكم عليها، فهي إذن وصف لكل من انطبع من ذلك سواه في ذهن الرحالة عبر مسار رحلته وفي احتكاكه بالمحيط بتآزر في ذلك الواقع والخيال وأسلوب القصص والحقائق العلمية والتاريخية والجغرافية والاجتماعية والنفسية وغيرها.

والرحلة إذن ليست سوى تجربة انسانية حية يتمرس بها الباحثون والقراء، حيث يصبحون أكثر فهما وأكثر صدقا وملاحظة وأغنى ثقافة وأعمق تأملا. [2]

ويعرف حسين محمد فهيم الرحلة على أنها ساعدت على اكتشاف موطن الانسان وأكدت للإنسان مدى انتشاره على سطح الارض، ويتم إنجازها من طرف رجال دين وعلم وطوافون من هواة السفر والترحال، وآخرون استهوتهم المغامرة ودفعتهم المخاطر الى كشف النقاب عن المجهول من الارض والناس.[3]

---

[1]- ابي حامد احمد بن محمد الغزالي: **احياء علوم الدين**، ج2، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1986، ص 273.

[2]- زوبيدة برادع وفتيحة عيساوي: **ادب الرحلة في الجزائر- رحلة ابن حمادوش الجزائري، " لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال نموذجا** "، مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة والادب العربي، قسم اللغة والادب العربي، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، الجزائر،2015-2016، ص ص 8-9.

[3]- **ادب الرحلة**، دار عالم المعرفة ، الكويت، (د-ط)،1978، ص 11.

كما تعرف الرحلة بأنها مجموع الكتابات التي لها علاقة بفعل السفر وكذلك عرفها فرانك ميشال قائلا" فالسفر هو العبور من الذات نحو الآخر أي أنه قبل كل شيء هو لقاء الآخر ويستند الالتزام الثقافي باكتشاف الآخر، الى المشروعية الطبيعية في الخروج من الذات بالنظر اليه على اساس أنه حق طبيعي قبلي والذي يعبر عنه بعديا، باعتبارها حق ثقافيا، واذا كانت الرحلة في بلد الغير وفي ثقافته واحواله، فهي بالأساس رحلة نحو الذات بحكم أن ما يشاهد وما يوصف لا يتم الا عن طريق المقارنة مع الذات، وعليه فالسفر" ليس رحيلا جغرافيا فحسب وإنما هو دنو تاريخي من الذات.[1]

وعرفها " بطرس البستاني" بأنها: انتقال واحد–أو جماعة– من مكان الى مكان آخر لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة

ج– الرحلة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة:

لم يدع الاسلام وسيلة من الوسائل التي تفيد الانسان الا وحثه على فعلها، ومنها الرحلة، سواء كانت للعلم او الهجرة بالدين من أرض الشرك الى أرض الاسلام او الحج أو التجارة،[2]وفي بداية الحديث عن الرحلة لابد من التطرف الى اولى الرحلات الثابتة لدينا والمستفاد من أوثق وأصدق مصادرنا الاسلامية، وهو القرآن الكريم فقد حفل القرآن الكريم بالأمثلة العديدة لكل نوع منها على الرغم من عدم ورد لفظ رحلة فيه الا مرة واحدة في سورة قريش، قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾[3]

[1]– بوشعيب الساوري: **صورة الآخر في رحلات عربية من القرن العاشر ميلادي الى القرن الواحد والعشرون**، دار النايا للدراسات والنشر، لبنان، ط1، 2014، ص6.

[2]– عواطف محمد يوسف نواب: **الرحلات المغربية والاندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين–دراسة تحليلية مقارنة–**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، (د–ط)، 1996، ص 29.

[3]– سورة قريش: الآية{1–4}.

وقد تباينت وسائل السفر، وتنوعت مادة الرحالة، "كما نصف الكثير عناصر ثقافة البلدان التي ذهبوا اليها وأحوال الشعوب"، كما هو معروف فإن الرحلة قديمة قدم زمن البشر[1] فكانت هناك أسباب ودوافع جعلت تلك الاخيرة تظهر منذ أمد بعيد فهي تعبر عن حضارات العصور وثقافتهم المختلفة[2].

ومن المعلوم ان اول رحلة قام بها الانسان هي تلك الرحلة التي أشار اليها القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾[3]

خلق الله الإنسان محبا للحركة والتنقل، وأمده بالعقل الذي يدعوه لذلك والجسم القوي الرشيق الذ يعينه على الانتقال من موضع لآخر، بحثا في البداية عن طعامه وشرابه، هربا من القوى المعادية، وقد بدت له عاقبة مخيفة، سواء كانت الطبيعة من برق ورعد وعواصف أو فيضانات وزلازل وبراكين أو كانت حيوانات ضخمة كالديناصورات والأفيال أو مفترسة كالأسود والنمور والذئاب فالحركة روح الحياة وهي سمة أساسية في التركيب الجسدي والنفسي للإنسان وقد هيأ الله لها، وجعلها إمكانية ضرورية لحياته تنسق مع الهدف من إيجاده والغاية التي خلق لأجلها وهي تعمير الأرض وعبادة الله تعالى.[4]

2- مفهوم أدب الرحلة:

حدد "مجدي وهبة" مفهوم أدب الرحلة: على أنها مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات

---

[1] - زبيدة برادع وفتيحة عيساوي: **المرجع السابق**، ص10.

[2]- زبيدة برادع وفتيحة عيساوي: **المرجع السابق**، ص.10

[3]- سورة البقرة : الآية ﴿34-35-36-37﴾.

[4] - حسني محمود حسين : **أدب الرحلة عند العرب** ، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، ط2، 1983م، ص05.

وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة أو يجمع بين كل هذا في آن واحد وقد اشتهر العرب بأدب الرحلات ومن أهمها "رحلة ابن بطوطة.[1]

ويعتبر ادب الرحلات الى جانب قيمته الترفيهية أو الأدبية أحيانا مصدرا هاما للدراسات التاريخية المقارنة وذلك خاصة بالنسبة للعصور الوسطى، كما أن علماء الادب المقارن اعتبروه قسما من أقسام هذا الادب في تصنيفه الحديث،[2]ويعتبر ادب الرحلة من الفنون الادبية النثرية التي عرفت ازدهارا في ادبنا العربي منذ القرون الاولى، حيث وصف فيه الرحالة ما يرون ومن يرون وجعلوا كتبهم تأخذ طابعا فنيا، أدبيا، تاريخيا، وجغرافيا حتى أصبحت أشبه بالموسوعة الثقافية ويهتمون في كتابة رحلاتهم بأسلوب التشويق.[3]

كما تعتبر فن يدرس في برامج الدراسات الادبية العالية،[4] كما اشتهر به الرحالة المغاربة والعرب منذ زمن بعيد كابن جبير.[5]

فأدب الرحلة اذن ظاهرة ادبية، تتداخل فيها عدة عناصر أدبية فهي الشكل النصي المفتوح وذلك نتيجة مجموع مكونات ثقافية واجتماعية وسياسية متداخلة، ونسج متفاعل يشكل نصا يتموقع في ملتقى علامات شديدة التجذر في حقول تعبيرية شتى، وعبر انواع متقاربة ومتباعدة تحمل في العمق رابطا خفيا يوحدها ويجسد الاثر الشخصي للخيرات الانسانية، الامر

---

[1]– هو محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم، ولد في مدينة طنجة في شهر رجب 703هـ/1304م، كان والده من الفقهاء وعرف ابن بطوطة بترحاله وحبه للسفر للمزيد أنظر: ألاء جابر: نبذة مختصرة عن إبن بطوطة، موقع موضوع mawdoo3.com، 29-3-2016، ساعة: 9:27.

[2]– **معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب**، مكتبة، لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص17.

[3]– عبد الله كروم: **المرجع السابق**، ص34.

[4]– رابح خدوسي: **انطباعات عائد من مدن الجمال**، دار نورشاد، الجزائر، ط1، 2009، ص7.

[5] - هو ابو الحسن محمد بن أحمد جبير، رحالة أندلس ولد سنة 540هـ/1145،ببلنسية: للمزيد أنظر: عواطف محمد يوسف نواب: **المرجع السابق**، ص90.

الذي يعطي لهذا التعدد والبصمات المميزة بعدا منفتحا على شرايين وقنوات تتغذى من الأشكال الفنية النثرية ومن التاريخ والجغرافيا والمذكرات والتراجم.[1]

3- جذور الرحلة:

اتفق الباحثون على ان الرحلة العربية مرت بأطوار متعددة حتى بلغت أوج ازدهارها في القرن الرابع هجري/العاشر الميلادي وهو ازدهار ساهمت فيه عوامل كثيرة، أهمها الازدهار الحضاري العام، وازدهار الرحلة بشكل خاص، املي على أصحاب الرحلة النابهين أن يدونوا وقائع رحلاتهم يحدوهم الى ذلك اسباب متعددة[2]، حيث كانت لهؤلاء علاقات خارجية مع العديد من البلدان العربية الاوروبية وهذا بعد ان خرجوا من جزيرتهم باتجاه المجهول، وقد ساهم العرب والمسلمون خلال رحلاتهم المتعددة الاتجاهات في فتح بلدان كثيرة فتوحدت الامم في الدين واتصلت فيها بينها حيث يعد هذا عاملا بارزا في توسع وكثرة رحلاتهم قديما وتنوعت بتنوع الاسباب والدواعي، وقد أشار "محمد حسين فهيم" الى قدم الرحلة قائلا:" انها قديمة قدم زمان الانسان ذاته إذ عرفها منذ العصور الغابرة حتى وقتنا هذا وان اختلفت دوافع الرحيل".[3]

جبل الانسان على الاسفار بحثا عن الرزق او طلبا للعلم بشتى فروعه او للترويح عن نفسه وكان ذلك دأب الانسان منذ أن خلقه الله سبحانه وتعالى على وجه البسيطة وقد بين ذلك بآيات كريمة ترددت بها كلمات اسعوا....امشوا وغيرهما[4]، ولقوله تعالى :﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾[5] ، ولقوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾[6] .

---

[1]- جميلة روباش: **أدب الرحلة في المغرب العربي**، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في الأدب الجزائري القديم، قسم: الأدب اللغة العربية، جامعة: محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2014-2015، ص 22.

[2]- ناصر عبد الرزاق الموافي: **الرحلة في الادب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)**، دار النشر للجامعات المصرية- مكتبة الوفاء ، القاهرة، ط1، 1995، ص21.

[3]- شوقي ضيف: **الرحلات**، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1979، ص9

[4]- اسماعيل فاضل:" **الرحلة في طلب الحديث**"، مجلة آداب البصرة، العدد 38، (د-ب)، 2005، ص 33.

[5]- سورة النجم: الآية { 39-40}.

[6]- سورة الملك: الآية{15}.

وقد نشأت من ذلك التجارة التي انتظمت بين البلدان والأمم وكانت التجارة الركيزة الثانية لاقتصاد قريش ومعيشهم بعد موسم الحج فكانوا يرتحلون رحلتين في السنة: رحلة الشتاء الى اليمين ورحلة الصيف الى بلاد الشام تشتري قريش وتبيع وتربح ربحا كبيرا صيرها في وضع مادي جيد وصارت مكة في ذلك العهد مركزا تجاريا وماليا مرموقة الحجاز وسوقا لتبادل السلع وقد من الله سبحانه وتعالى على قريش بذلك[1].

4- دوافع الرحلة :

تنوعت الرحلة بتنوع أسبابها وحوافزها فهناك دوافع دينية كالحج إلى البقاع المقدسة، ودوافع علمية بغرض الاستفادة من العلم في مناطق عرفت بالعلم، ودوافع اقتصادية للتجارة وتبادل السلع والبحث عن أسواق جديدة ، ودوافع سياحية ودوافع ثقافية للتزود بالمعارف والتقاليد وكل الأعراف ، وكذلك دوافع للعلاج ، ودوافع سياسية كالوفود والسفارات التي يبعثها الملوك والحكام ونظائرهم إلى دول أخرى، أو بتكليف من السلطات كما حدث في القرن الثامن عشر حيث تعاقب البعثات الاستكشافية الاوروبية على القارات القديمة والجديدة بحثا عن مجالات أوسع لمستعمراتها[2]. إن من أهم الأسباب والدوافع التي مهدت للرحلة والرحالة هو اتساع رقعة الدولة الاسلامية التي امتدت من الصين شرقا وحتى المحيط الاطلسي غربا ، وهذا ما أدى بالمسلمين الى الترحال والسفر ، حيث تختلف الدوافع من شخص لأخر، ومن قوم الى آخر الا انها لا تخرج في الاغلب أن تكون كالآتي:

أ. الدوافع الدينية :

وتظهر في الرحلات التي كانت تقام الى الحج فكان يجني من رحلتها فضلا عن تأدية الفريضة فوائد جمة منها التوبة وتطهير النفوس من الذنوب والمعاصي أملا في المغفرة والالتقاء بمعظم العلماء وفقهاء العالم الاسلامي، ومن ثمة التجارة التي يجني من ورائها النفع والكسب

[1]- إسماعيل فاضل: **المرجع السابق**، ص 33.

[2]- محمد حسين فهيم :**المرجع السابق** ، ص 11.

المادي، ومن العوامل الدينية التي ساعدت على الترحال في فجر الاسلام هو جمع الحديث من أفواه الرواة فكانت ملتقى المسلمين و موقع التعارف وتبادل الافكار والمنافع. [1]

ب. الدوافع التجارية والاقتصادية :

التجارة أمر يقتضي القيام بالرحلة والسفر وكان التجار يضربون في أراضي جديدة عن طريق القوافل، وعن طريق البحر وكذلك من أجل تبادل السلع وفتح أسواق جديدة لمنتجات محلية او لجلب سلع ، وقد يكون هربا من الغلاء وسعيا وراء انخفاض الاسعار والوفرة او العمل، واستمرت الرحلات التجارية التي اشتهر بها العرب وازدهرت تلك الاخيرة نتيجة لاتساع الدولة وسهولة التنقل ، لذلك كان هذا الدافع له الاثر الكبير في توثيق وحدة الثقافية والدين في الاقطار العربية الاسلامية [2].

ج. الدوافع الثقافية:

والدافع هنا يقصد به الاستجمام والتجوال ، أي هناك من الرحالة ما كان يدفعهم الى الافاق شوق جديد لاكتشاف المجهول في بلاد بعيدة غير معروفة الاحوال واللغات ، وخوض مغامرات مهمة وجديدة، والمعرفة الحديدة من خلق الطبيعة والبشر واكتساب الخبرة وكذلك التعرف على المعالم الشهيرة كالأثار والمنارات والأبراج والكهوف والغرائب والعجائب[3].

د. الدوافع السياسية:

تتعلق هذه الأخيرة بالأوضاع السياسية وتلك الوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك والحكام الى ملوك الدول الاخرى بهدف توطيد العلاقات والتبادل التجاري ومناقشة شؤون الحرب أو السلاح تمهيدا لفتح أو غزو، والمهمات السياسية التي يروح فيها كبار القوم من

---

[1]– أحمد رمضان أحمد : **الرحلة والرحالة المسلمون**، دار البيان العربي ، جدة ،(د–ط)، (د– ت)، ص ص 11–13

[2]– محمد محمود محمدين: **الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان** ، دار الخريجي ، الرياض ، ط2،1996،ص178.

[3]– فؤاد قنديل: **أدب الرحلة في التراث العربي**، مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، ط2، 2002، ص ص21–23

علماء وأدباء بمن كان يصحبهم ومساعدين، والتي تقدم معلومات قيمة عن البلاد التي زارها السفراء وعن الاحوال الدولية في ذلك العهد وعن التطورات التي تمر بها الامم.[1]

[1]– عبد الهادي التازي: **ابن بطوطة أمير الرحال**، الدار العربية للطباعة والنشر ،الكويت ، ط1، 2002، ص 95.

كذلك يحرك الرحلة عدة دوافع اخرى تتمثل اساسا فيما يلي :

هـ. الدوافع الذاتية :

هي الاساس الذي تبنى عليه الرحلة ثم تأتي الاسباب الظاهرية والعامة لتكون مبررا مقبولا لقيام الرحلة ، والأساس أن الرحلة غاية وأنها ضرورة والمقصود بالضرورة هنا الضرورة الذاتية التي تدفع الانسان للرحيل رغم أنها تكون مضادة لرغباته ومنافية لتوجهاتها العقلية ومخالفة لاستحسان الاخرين.[1]

كذلك تكون الرحلة بدافع الكشف عن الحقيقة حقيقة الكون والرغبة في العزلة والتأمل لانهما اثنتان من الحاجيات الضرورية اللازمة لأي شخص مفكر، وكذلك نجد أن الرحال يخرج من أجل إرضاء لفضوله وحب استطلاعه، وقد يكون أيضا الدافع هو الغيرة الشخصية او طلب الشهرة ، وكذلك بهدف تنمية القدرات الذاتية ، فهي معلم ممتاز على المستويين النظري والعلمي.[2]

ويمكن القول أن لهذه الرحلات هدف موحد يتمثل في الاطلاع على الاحوال العامة للبلاد ، وعلى أوضاعها الاجتماعية و السياسية والفكرية والاتصال بالعلماء والمثقفين وتبادل وجهات النظر معهم ، وتجديد الصلة بهم الا أن دوافع الرحلة اختلفت من رحالة الى اخر.[3]
وتبلورت هذه الدوافع من خلال الجمعيات الجغرافية مثل الجمعية الافريقية التي اسستها انجلترا سنة 1788 م ، فلم يبق نهر في افريقيا إلا وتم اكتشافه، ولم تبق صحراء كبيرة الا وذروعها طولا وعرضا، كما ساعد اختراع الطباعة على نشر كتب الرحالة وتداولها بين الناس مما اكسبها شعبية كبيرة على كافة المستويات ولم تقتصر البعثات على الرجال دون النساء.

كما تعتبر الدوافع السياسية والاقتصادية والعلمية بالنسبة للغربيين (الاجانب) مشروع استعمار وهو نوع من التحضير الفكري لتحقيق هذا الهدف وبذلك لم تكن الكشوفات الجغرافية

---

[1]– صلاح الدين الشامي : **الرحلة عين الجغرافية المبصرة** ، دار المعرفة ، الاسكندرية ،ط2، 1999،ص63.

[2]– ناصر عبد الرزاق الموافي: **المرجع السابق**، ص27.

[3]– محمد الخضر حسين وآخرون: **خمس رحلات في الجزائر 1904–1932**، تح : محمد صالح الجابري ، دار السويدي،الامارات العربية المتحدة ،ط1، 2004،ص 14.

سوى استطلاعات استعمارية وكانت بعيدة كل البعد عن روح الكشف والعلم، بل كانت هذه الرحلات باختلاف دوافعها نواة للاستعمار الاقتصادي والسياسي.[1]

و. الدوافع العلمية أو تعليمية:

فقد كان من أهم بواعث هذه الرحلات طلب العلم الذي طغى على نمط الرحلة، فالعلم يعتبر عاملا اساسيا لابد منه نتيجة أهميته ومدى مساهمته في تطوير الثقافات الفردية، كما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم" طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة"، والعلم مفروض على كل مسلم، ولولا هذا لما ازدهرت الامم.[2]

وقد روى البخاري في القرن الثالث هجري أن جابر عبد الله رحل مسيرة شهر الى عبد الله بن أنيس في طلب الحديث، وكذلك الرحلة التي تمت في عهد الخليفة العباسي الواثق(227هـ-232هـ)، وذلك بغرض الاستزادة من العلم في منطقة أخرى ذاع صيت ابنائها في مجالات العلوم كالفقه والحديث والهندسة.[3]

ز. الدوافع الصحية:

كالسفر للعلاج او الاستفتاء واراحة النفس من ألوان العناء وتخليصها من الكدر والاكتئاب كالارتحال الى المناطق الريفية والمناطق الهادئة ونحوهما، وقد يكون هربا من وباء الطاعون أو التلوث.[4]

ويمكن ان نلخص أهم دوافع واسباب قيام الرحلة على النحو التالي:

- افادة القراء بمعلومات عن المعارف والعلوم والتعرف على الاعلام ومؤلفاتهم.
- التعريف بالبلدان، ووصف الطرق والمسالك.
- ذكر أخبار الأمم والاقوام والجماعات البشرية ماضيا وحاضرا.

---

[1]- حسين محمد فهيم :**المرجع السابق** ،ص 11.

[2]- فؤاد قنديل: **المرجع السابق**، ص19.

[3]- محمد محمود محمدين: **المرجع السابق**، ص 176.

[4] - فؤاد قنديل: **المرجع السابق**، ص 20.

– التأريخ لأحداث متنوعة وتقديم معلومات موجزة او مفصلة عن الاحوال السياسية. والاقتصادية والاجتماعية للأقطار والبلدان.

– دعوة الرحالة التغيير والتفريج عن احوالهم.

– رغبة الرحالة في نيل التواب والاجر والمغفرة من عند الله عز وجل. [1]

وخلاصة القول انه مهما كان السبب او الدافع من وراء الرحلة فانه في اغلب الاحيان سلوك انساني حضاري يأتي بثمار نافعة على الفرد وعلى الجماعة، فليس الشخص بعد الرحلة هو نفسها قبلها، ومن هنا فان الرحلة تصبح اليدالي تمتد لتقرب شعوبا تناءت عن شعوب، واقوام عن أقوام تفصل بينهم البحار والقفار،[2] لقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾.[3]

5– أنواع الرحلات :

حيث تناول الباحثون المعاصرون تصنيف الرحلات او الرحالين وظهر اختلاف في تصنيفهم، ففريق اتبع منهج التاريخي فلجأ الى الفترة التاريخية الزمنية كحكم، وغيرهم خلط بين المنهجين التاريخي والجغرافي، وفريق ثالث استنطق النصوص فاخرج انواعها لارابط بينها، وفريق ذهب يعدد ما هو ممكن لا ما هو واقع بالفعل، وفريق اخيرا اقترب من الحق.[4]

وقد كانت الرحلة عنصرا قويا في الحياة لهذا تعددت انواعها من خلال الاغراض والدوافع والغايات التي كانت تقام من اجلها، فنجد الباحثين اختلفوا في تصنيفاتهم لها، فعين صلاح الدين الشامي ستة انواع للرحلة منها ظهرت قبل الاسلام وثلاثة بعد الاسلام.

---

[1]– فؤاد قنديل: **المرجع السابق**: ص22.

[2]– سورة الحجرات، الآية {13}.

[3]– سميرة أنساعد: **الرحلة الى المشرق في الادب الجزائري، دراسة في النشأة والتطور والبنية** ، دار الهدى، الجزائر، (د–ط)، 2009، ص ص 38–39.

[4]– ناصر عبد الرزاق الموافي: **المرجع السابق**، ص 31.

أ-رحلة الحج (الرحلة الدينية):

وكان الغرض منها الترحال والسفر بغرض كسب القوت والمعيشة والتعرف على العادات والتقاليد للأمم والبلدان المجاورة[1] ويقصد الرحلة التي تتضمن او تدخل فيها فريضة الحج الى الكعبة في مكة المكرمة وما يتركه في النفس من اشواق ومشاعر تحرك قرائح الشعراء والادباء، وتدفعهم لتسجيل ملاحظاتهم وما يرونه في البقاع المقدسة خلال السفر اليها ويصوغون ذلك في قوالب فنية تخلد رحلتهم وذكرياتهم ، وكذلك كان القصد من الرحلة الدينية هي زيارة الاولياء وأضرحتهم السبب الكبير الذي دفع الصوفيين الى الرحلة، فكتبوا عن المشاهد والمزارات والكرامات واتعاب السفر في ذلك ومن امثلة الذين قاموا بالرحلة في المجال الديني ابن جبير الذي قام بثلاث رحلات الى الحج[2]

الرحلات الاقتصادية والتجارية:

ويظهر هذا في مجال التجارة خصوصا، وان بلاد العرب عرفت تبادلا تجاريا مع الهند والصين.[3]

فرحل العرب اليها وجاء الى بلادها كثيرا من الرحالة ولما انتشر الاسلام وبسطت الخلافة الاسلامية سلطانها على العالم اتسع نطاق التجارة يشمل افريقيا وجنوب افريقيا واوروبا وكانت اماكن خصبة لكثير من الرحلات، والرحلة الاقتصادية هدفها اليوم معرفة المواقع الاستراتيجية لتسهيل نقل البضائع، ومعرفة الهياكل القاعدية في البلدان لتسهيل الاستثمار والسيولة.[4]

ج - الرحلات الوصفية

ويقصد بها الرحلات التي تهتم بالجانب الوصفي تتجسد في رحلة ابن جبير[5]

---

[1]- صلاح الدين الشامي: **المرجع السابق**، ص 63.

[2]- عبد الله كروم: **المرجع السابق**، ص ص37 - 38.

[3]- حسين نصار: **ادب الرحلة**، مكتبة لبنان، (د-ب)، ط1، 1991م، ص ص 106-107.

[4]- نفسه ، ص110.

[5] -أبو عبد الله العبدري : **رحلة العبدري**، تح: على ابراهيم كردي، دار سعد الدين، دمشق، ط2، 2005م، ص ص 7-8.

وابن بطوطة و العبدري[1] وكلهم اهتموا تقريبا بالجانب الوصفي، وتشمل الرحلات الوصفي على الجوانب التاريخية القديمة والحديثة والمعاصرة للرحلة، والنوادي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وركزت اساسا على الجانب الثقافي وهو ما اشترك فيه جميع الرحالة واعتمدت الرحلات الوصفية على: وصف الاحوال الجوية، ووصف المدن، ووصف المساجد والمباني، ووصف القلاع والحصون....[2]

د- الرحلات الإدارية:

هي التي تكلف بها احدى الادارات او الحكم نفسه احد الرجال او مجموعة معينة لتحقيق هدف معين، وعندما اتسعت الدولة الاسلامية وترامت اطرافها تحتم عليها اتخاذ عيون وسفراء ينقلون لها الاخبار، ويذهب بعض الدارسين الى ان التجسس كان سبب في قيام بعض الرحلات القديمة، اما في العصر الحديث فالأمر لا يحتاج الى برهان بأن التجسس هو السبب الخفي لكثير من الرحلات الادارية ويدخل هذا ضمن روايات الاسرى المسلمين في البلاد الاجنبية وتشمل جوانب هذه الرحلات في اعمال القائمين بالسفارة، والتمثيلات الدبلوماسية.[3]

ذ- الرحلات العلمية:

إن أولى القصص التي تحدثت عن الرحلة العلمية جاءت في القرآن الكريم عن رحلة موسى عليه ولقائه الرجل الصالح الخضر عليه السلام واصطحابه لغرض التعلم[4].

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾.[5]

والهدف من الرحلة العلمية هو طلب العلم والتفقه في الدين ومن الأغراض التي تدعوا اليها هي التعلم والاعتبار بأحوال الامم الماضية[6].

---

[1]- محمد بن محمد بن علي القرشي المغربي من رجال القرن السابع هجري، للمزيد أنظر: أبو عبد الله العبدري : **المصدر السابق**، ص ص 7-8.

[2]- عواطف محمد يوسف نواب: **المرجع السابق**، ص76.

[3]- حسين نصار: **المرجع السابق**، ص45.

[4]-سميرة انساعد: **المرجع السابق**، ص21.

[5]- سورة الكهف: الآية {60}.

[6]- سميرة انساعد: **المرجع السابق**، ص21.

ولذلك سعى المسلمين لطلب العلم من مكان الى اخر مع الحرص على لقاء العلماء والاخذ عنهم[1] قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣ ﴾.[2]

والرحلات العلمية اتصف بها المغاربة والاندلسيين لانهم كانوا ينتهزون فرصة ادائهم لفريضة الحج في التجوال بين المراكز العلمية، مثل: الاسكندرية والقاهرة للقاء العلماء والمشايخ والاخذ عنهم وتسجيل أسانيديهم ومروروياتهم وما أخذوه عنهم[3] واطلق على هذا النوع من الرحلات لفظ البرنامج او الفهارس[4].

ر- رحلات السفارة:

ظهر هذا النوع في القرن السادس عشر فكان السلاطين السعديون وبعدهم العلويون يعينون بعض المقربين لهم للقيام بالمهمة في البلدان الاجنبية او الاسلامية لدى ملوكها[5]، وهذا ما وقع للتمقروتي[6] عندما كلفه أحمد المنصور بالذهاب الى اسطنبول وعند العودة يكتب تقريرا مفصلا يسرد فيه كل ما رأى أو حدث له في رحلته أو كل ما أطلع عليه.

كذلك نجد أن الدكتور أحمد رمضان قسم الرحالة الى رحالة مشارقة، مغاربة، رحالة جغرافيين ولهم منهج مشترك، اما الدكتور شوقي الضيف صنف الرحلات الى: رحلات جغرافية- رحلات بحرية- رحلات في الامم والبلدان.[7]

---

[1]- عواطف محمد يوسف نواب: **المرجع السابق**، ص 34.

[2]- سورة الجاثية: الآية{ 13}.

[3]- عواطف محمد يوسف نواب: **المرجع السابق**، ص73.

[4]- هو كتاب يجمع فيه الشيخ اسماء شيوخه واسانده من مروياته وقراءاته على اشياخه-للمزيد انظر: نفسه، ص72.

[5]- مولاي بالحميسي: **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،ط2، 1981، ص 11.

[6]- ابو الحسن بن علي ابن محمد التمقروتي للمزيد أنظر: نفسه: ص16.

[7]- ناصر عبد الرزاق الموافي: **المرجع السابق**، ص 31.

6- اهمية الرحلة:

تعتبر الرحلة أمرا لازما للعلم فيقول ابن خلدون:

"... الرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرحال...".[1]

الرحلة حلقة رائعة ومثيرة من تلك المنظومة الالهية لتحقيق المزيد من محاولة اكتشاف الذات الانسانية.[2]

وتتمثل اهمية الرحلة في انها تجمع في جوهرها على انها حركة وانتقال فردي أو جماعي ذات هدف يتحقق وقد لا يتحقق وفي الحالتين يتسم اكتساب خبرات علمية وفكرية ناجمة عن المخالطة، فهي تشبع حاجيات الانسان وترضيه.

وبفضل الرحلة نجد ان الرحالة والمفسرين والمفكرين العرب اسهموا بفاعلية خلال العصور المختلفة في تقديم مادة وصفية قيمة تعتمد على المشاهدة المباشرة والخبرة الشخصية للثقافات المغايرة او حتى مقارنتها مع ثقافة أخرى، واعتبرت هذه المصادر مصادر اثنوغرافية، حيث درست اسلوب الحياة في مجتمع ما وخلال فترة زمنية معينة.[3]

للرحلة فوائد جمة وجليلة تتمثل فيما يلي:

- الرحلة تزيد من كمال المتعلم وتحصيله: وذلك بلقاء أهل العلم ونقاد المشايخ فإن ذلك يفيده في تفسير الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم، فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد.

---

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون: **مقدمته**، (د-ط)، بيروت، (د- س)، ص 541.

[2]- فؤاد قنديل: **المرجع السابق**، ص 24.

[3]- صفاء دركي: **الأنثبوغرافيا في أدب الرحلات – كتاب البيروني في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة- نموذجا**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي، قسم: اللغة العربية وآدابها، جامعة حمة لخضر الوادي، الجزائر 2014-2015، ص 42.

– توحيد النصوص والتشريعات: ويقصد بها توحيد النصوص والتشريعات في مختلف أقطار العالم الاسلامي وضبطها وجمعها فكان للرحلة الاثر البالغ في نقل الاحاديث والنصوص من طوابعها الاقليمي الاصلي الى الطابع العام المشترك.[1]

وتعتبر الرحلة مصدر حيا من مصادر زيادة الخبرات ويلجأ الكثيرون اليها من أجل تنمية قدراتهم الذاتية[2]، وكذلك للرحلة اهمية كبيرة تتمثل في الحصيلة الثقافية الواسعة وينتج هذا نتيجة الكم الكثير من الاحاديث والكتب المصنفة في هذا المجال ما كان ليتم بالصورة الحالية ويكتمل لولا رحلات المحدثين شرقا وغربا من الاندلس وحتى الصين.[3]

كذلك نجد ان المتعة النفسية التي يتحصل عليها الرحالة من اهم الفوائد التي تتميز بها الرحلة ومعنى ذلك ان الرحلة في طلب العلم وفي طلب الحديث رغم صعوبتها وقسوة ظروفها تشعر صاحبها بالمتعة النفسية يستطيع من خلالها عن احوال البلاد والمنازل ومشاهدة عجائب البلدان، واختلاف الالسن والمآكل والمشرب وما تحصل عليه من رياضة ذهنية وبدنية اضافة الى الاجر العظيم الذي يناله من الله عز وجل، وكذلك نرى ان الرحلات تزيد من توثيق العلاقات بين بلدان العالم الاسلامي فالرحلات الحديثة لها الاثر البالغ الواضح في توثيق العلاقات مثلها مثل الرحلات الجغرافية والرحلات التجارية فإنها تجعل الاقطار الاسلامية قطر واحد.

تغرب عن الاوطان في طلب العلا وسافر ففي الاسفار خمس فوائد

تفرح هم، واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحة ماجد .[4]

[1]– اسماعيل فاضل: **المرجع السابق**، ص 42.

[2]– ناصر عبد الرزاق الموافي: **المرجع السابق**، ص28.

[3]– اسماعيل فاضل: **المرجع السابق**، ص 43.

[4]–نفسه، ص 44.

الفصل الأول: الجوانب التي تناولها الرحالة العرب في كتاباتهم حول الجزائر.

تمهيد

المبحث الأول: الجانب الجغرافي والعمراني.

المطلب الأول: الجانب الجغرافي.

المطلب الثاني: الجانب العمراني.

المبحث الثاني: الجانب السياسي والاقتصادي.

المطلب الأول: الجانب السياسي.

المطلب الثاني: الجانب الاقتصادي.

المبحث الثالث: الجانب الاجتماعي والثقافي.

المطلب الأول: الجانب الاجتماعي.

المطلب الثاني: الجانب الثقافي.

تمهيد

اعتنى كثير من المؤرخين والرحالة من مختلف الاجناس بتدوين مذكرات انطباعاتهم في المدة التي اقاموها بالجزائر، فاختلفت كتاباتهم وتباينت وشملت مختلف المجالات سواء كانت جغرافية وعمرانية، أو سياسية واقتصادية، أو اجتماعية وثقافية، وكانت كتاباتهم نتيجة زيارتهم لمختلف المناطق الجزائرية وهكذا سار الكثير في أرضها، واخترقوا الآفاق وتحدوا الأهوال والأخطار، وتعتبر كتاباتهم من أهم المصادر التي تعرف بتاريخ الجزائر خلال الفترة الحديثة، واكتسبت أهمية كبيرة لما فيها من أخبار وإشارات حول المدن الجزائرية، فكان أصحاب الرحلات أهل علم ومعرفة ينتمون الى طبقة اجتماعية مرموقة ويحظون بمكانة عالية.

المبحث الاول: الجانب الجغرافي والعمراني

لقد اختلفت نظرة الزائرين لمدينة الجزائر حسب العهود، مما يدل على تبدل احوالها العلمية والسياسية والاقتصادية والجغرافية، ويظهر هذا التغيير عند الرحالة بشكل كبير ونذكر منهم: العياشي والزياني وابن زاكور والتمكروتي وحسن الوزان وابوراس الناصري ونجد ان كل منهم ركز على جانب معين او عدة جوانب.

المطلب الاول: الجانب الجغرافي.

وبداية حديثنا عن الجانب الجغرافي الذي اهتم به الرحالة العياشي[1] في رحلته[2]، فنجده تحدث عن صحراء المغرب الأوسط لأنه حج ثلاث مرات واخترقها ذهابا وايابا في زمان كان الرحالون يمرون على تلمسان أو معسكر أو قسنطينة لانهم كانوا يرون في الصحراء العطش والرمال حيث قال العياشي أن الصحراء هي عبارة عن اراضي متنوعة فيها السهل المسترسل ومنها الجماد والجبال ومنها الارض الوعرة والحرشة ومنها الرمال الكثيفة التي يحار فيها الناظر أرض لا يهتدي فيها الا من مارسها، وعني العياشي عناية فائقة بأخبار الماء في الصحراء فذكر أماكن الماء وكيفية استخراجه وتوزيعه وقيمته، كما وصف الوديان على انها لولاها لما كانت القصور، وهي كثيرة المياه في شتاء وقليلة في الصيف[3].

كما وصف ابن زاكور[4] مدينة الجزائر ومدحها حيث قال انه لما منّ عليا المولى الكريم ذو الفضل السابع العظيم، بدخول مدينة الجزائر ذات الجمال الباهر وحلول مغانيها النواظر التي غص ببهجتها كل عدو وكافر، فلذلك يتربصون بها الدوائر في الموارد والمصادر، ويرسلون

---

[1]– هو عبد الله بن محمد بن ابي بكر بن سالم نسبة الى قبيلة آت عياش البربرية القاطنة نحو سجلماسة جنوب غرب المغرب الاقصى للمزيد انظر: ابو القاسم سعد الله: **بحوث في التاريخ العربي الاسلامي**، دار الغرب الاسلامي، (د–ب)، ط1، 2003، ص46 و انظر: عبد العزيز بن عبد الله: **الرحلات من المغرب واليه**، دار نشر المعرفة، الرباط، ط1، 2001، ص18.

[2] – أنظر الملحق رقم 01.

[3]– عبد الله بن محمد العياشي: **الرحلة العياشية1661–1663م**، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي، الامارات العربية المتحدة، مجلد1، ط1، 2006، ص119.

[4]– هو عبد الله محمد بن القاسم ولد (1075–1120هـ/ 1663–1708م)...،أديب ورحالة وشاعر ولد بفاس وتوفي بها، قدم الى الجزائر(1093هـ/1683م) للمزيد انظر: مولاي بالحميسي : **المرجع السابق**، ص 14.

عليها صواعق لم تعهد في الزمن الغابر أبرأني من غليلي ووجدي ما عانيته من ورائها العسجدي وبحرها اللازوردي، إذ هي كما قيل:

بلد أعارته الحمامة طوقها وكساه حلّة ريشة الطاووس.[1]

نجد ان العياشي تحدث عن الصحراء وهو أدرى الناس بصحراء المغرب الاوسط، كذلك كان معظم حديثه عن الوديان فذكر وادي فير المنحدر من جبل تاندرارة وهو: وادي كير فسيح ملتف بالأشجار قليل الاحجار، كبير المرعى، تجتمع إليه سيول من المسافات البعيدة عليه قرى ومزارع... ويمتد الى ناحية الصحراء، ووادي الأساور من أطول الأودية وأقلها فائدة وماؤه عذب غزير ووادي مساعد ووادي الاشبور ووادي الناموس كبير ملتف بالأشجار ولم يقتصر العياشي على الاودية بل قدم قائمة مفصلة للأحساء ذات الماء العذب والطيب، والحاسي في الصحراء هو منبع الحياة، حيث وقف العياشي على اجهزة حفر الآبار، وكذلك تحدث العياشي عن المناهل وقال: وجدنا غالب المناهل قد دفنها اولاد محمد غرب توات، خائفين من عدوهم من سعيد أن يغيروا عليهم، فطمسوا ما في طريقهم من الماء لأجل ذلك ولم تزل تسير مع ذلك الوادي نرد أيام بعد يوم في أيام بلغ بردها الغاية، وأفرط الى غير نهاية، الى أن نزلنا عاشر يوم على قرية يقال لها والا، بعد ما قطعنا قربها مالا كثيرة يحار النظر في كثرتها وصعوبتها، وقاسينا منها شدة، ولقيت الابل أضعاف مالقينا، وعلمنا عند ذلك حسن مبالغة القائل: اللهم صلّي على سيدنا محمد عدد الرمال.[2]

كما قال ابن عبد ربه: هي مدينة مسورة بقرية من البحر على مصب وادي الشلف، ذات أعين وبساتين وأراضي ومياه ويوجد في أرضها القطن.[3]

[1]– **نشر ازاهير البستان فيمن اجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء اكابر الاعيان**، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر،(د–ط)، 2011، ص40.

[2]– مولاي بالحميسي: **المرجع السابق**، ص ص26–27.

[3]–. نفسه: ص 46.

أيضا تحدث هذا الرحالة عن الآبار التي ورد أن النبي صلّى الله عليه وسلم تنقل فيها او شرب او توضأ فاكتسبت بذلك فضلا عن غيرها فصارت مقصودة بالزيارة والاستقصاء بمائها ولم يذكر منها الا ما زاره وشرب من مائه وهي سبعة اولها: بئر اريس، نسبة الى رجل من اليهود اسمه اريس.[1]

كما تحدث الرحالة حسن الوزان[2] عن موقع قسنطينة حيث قال ان المدينة تقع فوق جبل شديد الارتفاع، وهي محاطة من الجهة الجنوبية بجروف عالية يمر من أسفلها نهر يدعى "سوفقهار"، ثم ينتقل الى الحديث عن الخندق الذي هو معبر لمياه وادي الرمال.[3]

اما عن مدينة ميلة فيقال عنها أنها تقع في قلب المغرب الاوسط وتأسيسها بين اهم عواصمه ووجودها بين ثغور بعض الامارات بمكان امتازت فيه الطبيعة بكل ما يحلم به القاطن والزائر من مياه وزرع وفواكه وخضر...[4].

قام الورتلاني[5] بزيارة إلى مدينة بسكرة حيث كان متجها الى الحجاز وفي طريقه مر على " قصر الطير"، الذي يقع ما بين عين ولمان وأولاد بوطارة بولاية سطيف فأعطى وصفا لها بأنها أحسن الأوطان وأكرمها كثيرة الخصب في الفصول، ذو مروج رائعة، ومياهه قريبة من سطح الارض تكثر به الزراعة وتربية المواشي كما ينتقل الورتلاني الى الحديث عن " زمورة"[6]

---

[1]– عبد الله بن محمد العياشي: **المصدر السابق**، ص .409

[2]– هو الفاسي الزياني (894هـ/1489م)، المولود بغرناطة، صاحب الرحلة الشهيرة وصف افريقيا المعروف بالاسد الافريقي استقر بعنابة حوالي 1516م للمزيد انظر: الحسن ابن الوزان الحسن: **وصف افريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد الاخضر، ج1، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ط2،(د–س)، ص ص 9–10.

[3]– نفسه: ص427.

[4]– عبد الرحمان الجيلالي: **المرجع السابق**، ص ص 287– 288

[5]– هو رحالة جزائري ولد(1125هـ/1713م) ينتمي الى قرية بني ورتلان قرب بجاية– نشأ الورتلاني نشأة دينية للمزيد انظر: ابو القاسم الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، ق2، مطبعة بيرفونتانا، الجزائر،(د–ط)، 1906، ص 133

[6] – هي احدى الدوائر التابعة لولاية غليزان للمزيد أنظر: موقع ويكيبيديا، 2018/5/4، ساعة،10:20.

فيقول انها: بلدة كثيرة الارزاق بها مزارع ومياه كثيرة شأنها شأن قريتي الجمعة[1]وورجه[2]، فتميز كلها بكثرة بساتينها وغزارة مياهها الجارية.[3]

أيضا تحدث الورتلاني عن بسكرة ووصفها بالجنة، كثيرة المياه عزيزة وعذبة، كثيرة عظيمة بنخلها وكثرة زرعها وموقعها زاد من مكانتها فهي معبر الى الحجاز، كذلك في نفس الوقت تحدث عن سيدي عقبة والخنقة وطولقة التابعين لبسكرة فقال: " انها تشبه بسكرة من حيث الموقع وكثرة النخيل والزرع وانتشار البساتين والاشجار والمياه العذبة ".[4]

وقد سجل لنا ايضا معلومات عن بعض المناطق كأرض" الحضنة وبريكة ومدكال والزيبان " حيث قال: " ان ارض كل منهم ارض طيبة وبها نهر جار، تتميز بكثرة النخيل خاصة" مدكال" تميزت بدورها بكثرة البساتين التي هي على مشارف الزيبان فهي قرية فيها نخل، ولم يكن في بلادنا نخل الا فيها، فهي قرية عظمة فيها جمعة وعين عظيمة ".[5]

وبالنسبة لمليانة [6] فقيل عنها أنها تقع عش العقاب في منطقة مرتفعة بين خطي سبعة دقائق غربا وعرض ستة وثلاثين درجة وثمانية عشر دقيقة، وعلى ارتفاع يتراوح بين 726-749م، وتطل من الشرق والجنوب على وادي الشلف، لها جو معتدل وتجري فيها مياه كثيرة ومعتدلة وعذبة.[7]

---

[1]- تدعى جمعة الصهريج: وهي مقر محمد بن القاضي حاكم زوارة تقع شرقي تيزي وزو: للمزيد انظر: مختار بن الطاهر الفيلالي: **رحلة الورتلاني- عرض ودراسة**- دار الشهاب، الجزائر،(د-ط)،(د-س)، ص 120.

[2]- تقع غرب بني ورتلان بقرب واد الصومام: للمزيد انظر: نفسه: ص120

[3]- **نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار المشهورة بالرحلة الورتلانية**، تص: محمد بن ابي عنب، مطبعة بيرفونتانا، الجزائر، (د-ط)، 1908، ص81.

[4]- **المصدر السابق**: ص87.

[5]- نفسه: ص 85.

[6] - أنظر الملحق رقم02.

[7]- عبد الرحمان الجيلالي: **المرجع السابق**، ص289.

ولا ننسى الحديث عن مدينة وهران حيث تقع هذه الأخيرة في غرب الجزائر، كانت كبيرة المساحة وتحمل بايلك الغرب طوال عهد الحكم التركي العثماني للجزائر.[1]

المطلب الثاني: الجانب العمراني.

شكل الجانب العمراني أهمية كبيرة لدى الرحالة العرب، حيث تحدثوا وتعمقوا ووصفوا كل نواحيه في مختلف المناطق، وتمثلت كتاباتهم فيما يلي:

فاذا تأملنا في خريطة مدينة الجزائر نلاحظ أنها ترجع الى فاتح القرن السادس عشر(16م)، فنرى أنها كانت مدينة صغيرة على شكل مثلث قاعدته البحر ورأسه القصبة وتحيط به الاسوار الحصينة من الجهات الاربعة، وتعلو الاسوار مجموعة من الابراج العالية والمنيعة بينما تزدحم المنازل المتدرجة داخل الأسوار عبر شوارع ضيقة تتناسب مع المناخ الطبيعي والاجتماعي، فتكاد سقوف المنازل تلتصق ببعضها، وفي أماكن عديدة يمكن للمرء أن يقفز من سقف منزل الى منزل آخر مجاور له دون عناء، وكانت البيوت كلها تفتح داخل الدار الكبيرة (الحوش)، حيث تسكن عدة عائلات.[2]

وايضا وصف أبو البقاء خالد ابن ابي خالد[3]رحمه الله تعالى: " وردنا مدينة الجزائر فرأيت محبا صبيحا،... وترتيبا مليحا... ومسجدا عتيقا... وبناءا أنيقا... واناسا سلكوا الى الحسن والاحسان طريقا.[4]

---

[1]– يحي بوعزيز: **مدينة وهران عبر التاريخ ويليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الاوسط ويليه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري**، دار المعرفة، الجزائر(د–ط)، 2009، ص19.

[2]– أبو القاسم سعد الله: **المرجع السابق**، ص 495.

[3]– ولد (713هـ/1313م)،وتوفي (780هـ/ 1378م)، تلقى تعليمه الاول بالمغرب وبالضبط فاس، واتمه بالمشرق، حيث أصبح بعد ذلك من ابرز رجال الفقه والادب بالأندلس، للمزيد انظر: مجهول:" **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**"، مجلة دعوة الحق، مجلة شهرية، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، المملكة السعودية، العدد 196، 30–40–2018، سا:19:30.

[4]– علي بن محمد التمكروتي: **النفحة المسكية في السفارة التركية 1589**، تح: محمد الصالحي، دار السويدي، بيروت، ط1، 2007، ص161.

اما المباني الدينية تتمثل في عدة جوامع وزوايا ومدارس قرآنية ونجد أيضا داخل الاسوار منشآت عامة رسمية ودينية، ومن المباني الرسمية قصر الباشا والقصبة، حيث المباني الحكومية، اما خارج الأسوار فتوجد قصور الطبقة الغنية والتي تحيط بها حدائق وبساتين ذات أشجار مثمرة، وكذلك ساحات عامة يبيع فيها القرويين إنتاجهم الزراعي.[1]

كما تحدث التمكروتي على منطقة شرشال، وقال عنها أنها بليدة حصينة كثيرة العمارة، وأشار أيضا العياشي إلى وصف مدن الجنوب فقال: عنها أنها مدينة لها سبعة أبواب وهي وسط خط من النخل محيط بها خندق ومساجد المدينة بالتخمين نحو من نصف فرسخ[2] في مثله، وهذه المساجد هي متقنة الصنعة مجصص الأرض والحيطان على بابها أماكن وفي جوانبها معدّة الوضوء وقضاء الحاجة، ومكان لتسخين الماء.[3]

وأيضا ركز الزياني في حديثة على المساجد فقال عنها أنها مساجد جامعة للإسلام ومعبد لأهل الخير والدين، ورتب فيه أهل الهندسة من كل صنعة وأتقنوا بناؤها من كل سعة ورفعة وجعلوا أسفل هذه المساجد دكاكين وقهاوي، يجلس بها أهل العلم والفتوى والمؤذنون، وهذا المسجد مؤلف من سبعة أصناف منبرا من الرخام الشفاف، أبدع فيه كل خارط صنعة الخرطي، وكل ناقش زاد على الشرط وتحققت سيادة بانيه الدرجة أن زائرها تقشعر لها الأبدان.[4]

وفي حديث التمكروتي نجده أن الرحالة تطرق في مسار رحلته، حيث قال: "انتقل بنا الرحالة من نفيض إلى نفيض: من المغرب إلى المشرق، ومن البر إلى البحر، مخالطة الأهل إلى مخالطة الاغيار، وهكذا وصف لنا العمران وكان حديثه في مايلي: هكذا تتشابه الأماكن تنقل من مكان إلى لآخر".

---

[1]– ابو القاسم سعد الله: **المرجع السابق**، ص 496.

[2]– أصله فارسي دخل العربية بمعنيين، يدل الأول على الزمن والثاني ارتبط بمسافة، اتفق على تحديدها بالمسافة التي مشاها الرجل وأستراح: للمزيد أنظر: ابن منظور: **المصدر السابق**، ص 337.

[3]– مولاي بالحميسي: **المرجع السابق**، ص 116.

[4]– نفسه: ص 189.

فانتقلنا اليها وهذه الأماكن[1]: هي بادس[2] –هنين[3]– وهران– مستغانم – شرشال– الجزائر–دلس– بجاية– جيجل– بونة[4]– القل– و عشرات الأمكنة كلها مدن جزائرية تشابهت بنيانها وعظمت مساجدها، فيتعجب الناظر بجمالها ودقة بناؤها، وانتقل التمكروتي للحديث على تلمسان وقال: هي مدينة مسورة، تكثر بها الأبراج، ثم مستغانم، فوصفها بنفس الوصف تقع على مصب وادي الشلف، ثم مدينة تنس، وهي حصن بناه البحريون الاندلسيون ومن معهم ثم شرشال، فقال عنها: بلدة حصينة كثيرة العمارة ثم وأخيرا ميناء الجزائر حرصها الله تعالى، ثم دلس، وهو حصين مليح منيع مليء بالعمارة، ثم مرسى القل، وهو مرسى مليح مستكين من الريح فيه سوق وديار وجامع، أقمنا فيه يومين وصلينا فيه الجمعة، ثم مرسى بونة مدينة تعرف ببلد العناب، لأن أكثر شجرها العنب، ومما يؤكد حديث التمكروتي هو حديث أبو البقاء خالد في رحلته فقال عن مدينة بونة: هي مدينة وقلعة حصينة شهيرة الامتناع بائنة الارتفاع معدومة الشبيه والنظر في القلاع تنزهت أن ترام أو تستطاع قاعدة كبيرة ومائدة من الأرض مستديرة، سامية الأرجاء واسعة الفناء موضوعة على نسبة الحسنة في الاعتدال والاستواء، والمدينة العجيبة كالعروس في ناديها قد رفلت في ذرع واديها وتحلت في سواره معصما واتخذت به من المطالب معتصما، نهر هاتان يحفه بستان.[5]

وعندما زار التمكروتي الجزائر قال عنها أنها كثيرة الجند، حصينة الأسوار، وأن لها ثلاثة أبواب، ثلاثة جوامع، وخطبة، بالإضافة الى الجامع الكبير[6]وأن أحد جوامع الخطبة كان للأتراك.[7]

---

[1]– علي بن محمد التمكروتي: **المصدر السابق**، ص 16.

[2]– قرية مهدومة اليوم بها ميناء على بعد مائة وعشرة كيلومترات جنوبي شرقي تطوان ويوجد على بعد مائة متر منها في البحر حجر بادس الذي إستولى عليه الإسبان عام 1508م، للمزيد انظر: نفسه، ص 40.

[3]– ناحية من سواحل تلمسان: للمزيد انظر: نفسه، ص، 40

[4]– مدينة بإفريقية بين المرسى وجزيرة بني مزغنة وهي مدينة حصينة مقررة كثيرة الفواكه والبساتين وهي على البحر للمزيد انظر: نفسه، ص 51.

[5]– نفسه، ص 52.

[6] – أنظر الملحق رقم03.

[7]– ابو القاسم سعد الله: **المرجع السابق**، ص 501.

ومما يؤكد على إتساع رقعة العمران، حديث حسن الوزان، حيث قال: أنها واسعة العمران، كثيرة المباني، كانت كثيرة الحمامات والفنادق(وهذا قبل أن تصبح عاصمة وميناء عثمانيا)، وفيها الجامع الكبير المطل على ساحل البحر، وساحة جميلة تقع أمامه، حيث تملأ هذه الساحة أنواع البساتين.[1]

ومدينة الجزائر هي مدينة جليلة، قديمة البنيان فيها آثار تدل على أنها كانت دار مملكة لسالف الأمم، وصحن دار الملعب فيها قد فرش بحجارة ملونة صغيرة من الفيفساء، فيها صور الحيوان، بأحكم عمل وأبدع صناعة ولم يغيرها تقادم الزمن.[2]

وقال عنها ابن زاكور: " ترى ما شئت من حدائق، كالنمارق، وقصور نوع المحاسن، عليها مقصور والذي أعارها ذلك المرأى الجميل أسوارها فضية الصباح عجسدية الأصيل، وألحفها بهجة أو إشراقا، وألبسها نظرة و إيراقا فأبداها للعيون آنق.[3]

كما تحدث أيضا الزياني في رحلته[4] عن مدينة تلمسان فقال: هذه تلمسان قاعدة من قواعد المغرب الأوسط أزلية البناء قديمة، أسست قبل الإسلام بكثير من الأعوام أسسها بنو يفرن(إحدى قبائل الزناتة إذ كانت في مواطنهم ومجلات قفرهم ويسمون بلغتهم" أجادير" وما يزعم من قوتهم ساكنوها إنها مدينة الجدار المذكور في القرآن في قصة موسى والخضر عليهم السلام.[5]

وبعد انتهاء الزياني من الحديث عن مدينة تلمسان، انتقل الى الحديث عن مدن المغرب الأوسط الأخرى، حيث قال: " وأما ما بقي من هذه الواسطة بين تلمسان والجزائر بعد خرابها، فأول مدنها " القلعة"[6] أسسها أمير صنهاجة سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة ثم مدينة " ارشكول"[7]

---

[1]– **المصدر السابق:** ج2، ص37.

[2]– عبد الرحمان الجيلالي: **المرجع السابق،** ص 146.

[3]– **المصدر السابق:** ص 40.

[4] –أنظر الملحق رقم04.

[5]– مولاي بالحميسي: **المرجع السابق،** ص 163.

[6]– قلعة بني راشد وتسمى أيضا قلعة هوارة على نحو 19 كلم على جبل بربر للمزيد أنظر: نفسه: ص169.

[7]– " ارشقون" منطقة في ساحل تلمسان وبين مدينتي تلمسان وأرشقون فحص زيدور حوله خمسة وعشرون ميلا، ومدينة ارشقون على نهر تافني وهي مسورة وبها جامع للمزيد أنظر: مولاي بالحميسي: **المرجع السابق،** ص 169.

سيف البحر، أسست قبل الإسلام على عهد تلمسان وتداولها ملوك تلمسان، وأما مدينة "مستغانم" تأسست قبل الإسلام، وأما "معسكر" أسسها أمير توجين من زناتة، وأما مدينة " تيهرت " أسسها أمير مغراوة ثم مدينة تنس ثم مدينة شرشال أسست في عهد الروم قبل الإسلام، وأما مدينة "مازونة" فأسسها أمير بني راشد، وأما مدينة المدية أسسها لمدية فرقة من صنهاجة.[1]

ثم انتقل للحديث عن" البليدة" فأسسها أمير صنهاجة عام خمسة وأربعين وثلاثمائة، وأما مدينة الجزائر فكانت قرى لمدينة مزغنة من صنهاجة، والذي أسس المدينة بلكين[2]، والذي بنى مسجدها الأعظم يوسف بن تاشفين اللمتوني، لما ملكها أعوام الستين وأربعمائة و انتقل الى الحديث عن مدينة "بسكرة" حيث قال عنها أنها من أحسن المدن لكثرة مرافقها وتوسيطها بين التل والصحراء، بها مساجد معتبرة البناء.[3]

ولقد تم وصف مدينة قسنطينة من قبل الرحالة حسن الوزان[4]، حيث قال:" مدينة قسنطينة قديمة، بناها الرومان وهذا شيء لا يمكن إنكاره، نظرا لأسوارها العتيقة العالية السميكة المبنية بالحجر المنحوت المسوّد وهي واقعة على جبل شاهق ومحاطة من جهة الجنوب بصخور عالية، وفي الجانب الشمالي للمدينة أسوار في غاية القوة وهي تقع في أعلى قمة الجبل، بحيث أن الصعود الى قسنطينة لا يمكن الاّ من طريقين صغيرين ضيقين أحدهما إلى جهة الشرق، والآخر الى جهة الجنوب وأبواب المدينة جميلة كبيرة مصفحة تصفيحا جيدا بالحديد، كما يوضح لنا الحسن الوزان، السبل المؤدية إلى قسنطينة، فبعدما كانت قديما طريق

---

[1]– مولاي بالحميسي: **المرجع السابق** ، ص 169.

[2]– هو بلكين بن زيري بن مناد من أشهر أمراء صنهاجة في خدمة المواطنين، قضى حياته كلها في محاربة زناتة بالمغرب الأوسط للمزيد أنظر: عبد الرحمان الجيلالي: **المرجع السابق**، 157.

[3]– مولاي بالحميسي: المرجع السابق، ص 171.

[4]– ولد الحسن بن محمد الوزان الزياني المعروف بالأسد الافريقي(Léon Africain)في غرناطة آخر معاقل الإسلام بالأندلس سنة(894–1489م)، نال حظا جيدا من التعلم للمزيد أنظر: عبد الحفيظ بورايو وعبد الله حمادي: **مدينة قسنطينة في دب الرحلات** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الادب العربي، قسم: اللغة العربية، كلية: الآداب واللغات، جامعة: منتوري قسنطينة، الجزائر، 2007–2008 ، ص 106.

واحدا، أصبحت طريقين ولعلهما: سيدي راشد اليوم في الجهة الغربية، وباب القنطرة في الجهة الشرقية اليوم وهو تطور ملحوظ في النسيج العمراني القسنطيني.[1]

أما العياشي فكان حديث عن منطقة وادي ريغ فقال: ورحت الى بلدة تماسن، وهي بلدة كثيرة العمارة والنخيل، أميرها ابن عم أمراء تكرت، وفي مسجدهم صومعة وثيقة البناء طويلة جدا فيها نحو من مئة درجة، على بابها اسم صانعها، وهو المعلم أحمد بن محمد الفاسي وتاريخ بناؤها سنة سبع عشرة وثمانمائة، وتكرت هي قاعدة وادي ريغ.[2]

[1]-.الحاج أحمد بن المبارك بن العطار: **تاريخ بلد قسنطينة**، تح: عبد الله حمادي، دار الفائز، قسنطينة، (د- ط)، 2011، ص 26.

[2] - عبد الله بن محمد العياشي: **المصدر السابق**، ص 120.

المبحث الثاني: الجانب السياسي والاقتصادي

لقد كان هذين الجانبين محور اهتمام العديد من الرحالة العرب، حيث نجدهم قد أبحروا في الحديث عنه، وهذه الأهمية ترتبط أساسا بالفترة العثمانية حيث عرفت الجزائر فيها انتعاشا في كلا الجانبين، لكن تباينت الكتابات واختلفت الآراء حول ذلك فمنهم من يقول ان الوجود العثماني نعمة، والبعض الآخر يقول عنه نقمة.

المطلب الأول: الجانب السياسي.

لقد اهتم الرحالون العرب بالجانب السياسي، نظرا لأهميته، ومن بينهم، الرحالة العياشي، حيث يظهر من رحلة العياشي أن أجزاء كبيرة من البلاد كانت مستقلة لا تخضع للوجود العثماني بل هي تحت تصرف أمراء محليين، فبوادي الساورة خاضعة لأمير يبالغ في التنقيب عن لصوص تلك البلاد حتى وجد العياشي" أفراسا مهملة في البراري ولا أحد يقر بها"، حيث كانت مدينة" القيلعة " في طاعة سلطان وارقلة، وبها عامله يتحاكم إليه أهل القرية ويذعنون لأمره ولأولاد سيدي الشيخ الذين لهم نفوذ على مناطق شاسعة، ويحكم وارقلة أمير يدعى علاهم.[1]

وكذلك تحدث العياشي عن حوادث وقعت بالمدينة بسبب فتنة بين صاحب وارقلة وبعض سكانها أدى ذلك الى تقتيل استنكره، أما تماسين فأميرها ابن عم أمراء تقرت وهو كالمستقيل في بلده، كما تحدث عن تضرر بسكرة في ذلك العهد لتحالف الترك عليها وعساكر البدو،" يستولي عليها هؤلاء تارة وأولئك تارة إلى أن بنى الترك عليها حصنا حصينا على رأس الماء فتملكوا البلاد و أضروا بها حتى أشرفت على الخراب"، أما أولاد جلال فهم" في منعة وقوة من العرب لا يؤدون إليهم أتاوة ذلك".[2]

كما أورد الرحالة ملاحظات هامة كشاهد عيان على الأوضاع السياسية المتدهورة في الأقطار العربية آنذاك فالجزائر أصبحت تعاني من تدهور السلطة الحاكمة وضعفها، وفساد

---

[1]– مولاي بالحميسي: **المرجع السابق**، ص 28.

[2]– نفسه: ص 29.

جهازها وانحرافه عن جادة الصواب، فالمناصب الادارية والقضائية والسياسية أصبحت تشترى بالمال وظلم الولاة، فقد ازداد وتفاقم مما أدى إلى نشوب الفتن والحروب المدمرة.[1]

فبالنسبة للجزائر أكّد الورتلاني من خلال رحلته اليها أن سبب الفتن والحروب بين القبائل في البلاد، يعود إلى ضعف السلطة الحاكمة وانعدام نفوذها على السكان خاصة أهل الجبال الذين تحصنوا بها واستقلوا عن الحكومة التركية ولم يعد هناك من يستطيع التحكم فيهم، والفصل في خلافاتهم إلاّ عن طريق العلماء والمرابطون، والشيخ الورتلاني يرى أنه ملزم بالقيام بهذا الدور لتهدئة الأوضاع نيابة عن السلطة التي ضعف نفوذها.[2]

وهكذا قد استغل الورتلاني صداقته مع مختلف الحكام للإصلاح مثل محمد بن أحمد حاكم بجاية ونواحيها مع محمد بن القاضي الشريف حاكم زواوة، كما وضع الباي أحمد القلي(1736- 1771)، تحت تصرف الورتلاني المحلة لتأديب الأعراش المتمردين والسعي إلى إخضاعهم للسلطة الحاكمة[3]،كما تحدث الزياني أيضا عن الجانب السياسي في كل من تلمسان والجزائر وقسنطينة، فقال:" والمدن بين تلمسان والجزائر وقسنطينة خراب، وخير ما مررنا به من الجزائر إلى قسنطينة فكلّه خراب، والسبب في ذلك قيام الثورات المحلية على النظام التركي"،[4]وقال: ايضا قطعت جبل بني يزناتن لناحية البحر وقصدت مدينة وهران التي بها الباي محمد بن عثمان ولمّا اجتمعت به أظهر التأسف والتوجع على ما أصابنا و أقسم ألاّ يترك الأخذ بثأرنا من عرب أنقاد، وقال: الحمد لله حيث سلمت وبلغتنا فطب نفسا، وقر عينا فأن نخلف لك جميع ما ضاع، حيث شرع في السؤال عن ملك الغرب، وكيف حال أولاد السلطان سيدي محمد ومن هم القائم بأمرهم.[5]

---

[1]- مختار بن الطاهر الفيلالي: **المرجع السابق**، ص 98.

[2]- **المصدر السابق**: ص8.

[3]- عبد القادر بلعربي: **الرحلة الورتلانية محطاتها، ومصادرها المعرفية (115هـ-/ 1713م)**، مجلة أفاق فكرية، العدد السادس، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر،(د-ط)، 2007، ص 28.

[4]- مولاي بالحميسي: **المرجع السابق**، ص 39.

[5]- نفسه، ص 153.

كما أشار الورتلاني بدوره عند زيارته لبعض القرى إلى الفتن والصراعات، حيث قال: أن هذه القرى قد دمرت وخربت بسبب الحروب والفتن، وأنه يأمل بالتعاون مع حاكمها بهدف أن يصلح بين الفريقين ليعود الفريق المنهزم إلى بلدته أو قريته التي طرد منها فيقول: "وبالجملة فذهبنا لبعض القرى قد خربت لأجل ذلك ولعلّها ترجع للعمارة وكلّ ذلك في يد سلطان مجانة محمد بن أحمد بن القندور المقراني ثم العباسي متوجهين إلى تلك النواحي.[1]

ويضيف الورتلاني أن هؤلاء(سكان قرية سيدي بهلول)، وقد حرقت قريتهم أيضا وطردوا منها وقتل العديد منهم، حيث عمل الورتلاني على عقد الصلح بينهم وبين أعدائهم وردهم إلى قريتهم فيبين ذلك قائلا:" فلمّا وصلنا قرية أولاد سيدي الشيخ بهلول فعلوا ما أمرناهم به من الصلح مع أعدائهم، وردهم إلى محلهم فحرقوهم بالنار وأخذوهم وقتلوا منهم ثلاثين ..."[2]

فالعهد العثماني كما قال عنه الرحالة هو عهد طويل، يستغرق نحو 323سنة، وفيه أصبحت مدينة الجزائر عاصمة للقطر الجزائري، يرسل منها الباشوات والدايات اوامرهم إلى ولايات القطر كله، حيث كانت تضم إدارات الحكومة وأجهزة السلطة المركزية، واتسع حجم المدينة في العهد العثماني واستقر عمرانها.[3]

وكانت المدن الجزائرية منذ القرن الثامن عشر(18م) في انحطاط مستمر فقدت نشاطها وحضارتها وخلت من عدد كبير من السكان، فمدينة الجزائر كانت من أعظم الأمصار في القرن السابع عشر (17م)، فمن أصل (100000 نسمة) لم يبق فيها إلاّ (30000نسمة) سنة 1830، وافتقرت وهران وأفقرت، ولا ننسى الحديث عن القرن السادس عشر(16م)، حيث عمت الفوضى ودبّ الضعف في الدول القائمة ببنو حفص وبنو عبد الواد وبنو مرين، فقد أثر هذا على المدن الجزائرية فيما بعد أي بعد القرن السادس عشر(16م) وخلال القرن السابع عشر (17م)، والثامن عشر(18م)،[4]وقد عانت مدينة وهران أكثر من كل المدن الجزائرية

[1]–**المصدر السابق:** ص 8.

[2]– مختار بن الطاهر الفيلالي: **المرجع السابق،** ص 99.

[3]– عبد الرحمان الجيلالي: **المرجع السابق،** ص 193.

[4]– نفسه، ص323.

الأخرى من عمليات الهدم والطمس والتخريب فخلال السيطرة الإسبانية التي دامت حوالي ثلاثة قرون قام الاسبان بتدمير مساجدها ومدارسها وأخلوها من سكانها الأصليين وعندما تحررت سنة 1792م، حاول المحررون أن يعيدوا لها أمجادها ووجهها العربي المسلم، وبذلوا جهودا كبيرة لتعميرها وإصلاح ما يخرب منها،[1] كذلك أكد الورتلاني أنه مساند لحكم الأتراك في الجزائر ومتعاونا معهم فنجده عند عودته من الحجاز ودخوله قسنطينة و إطلاعه على أوضاعها وما يعانيه سكانها من ظلم الولاة، أكد عل أن طاعة الولاة واجبة.[2]

ركّز الرحالة عبد الرحمان التنلالي[3] على دور الأسطول الجزائري في حركة الجهاد البحري خلال العهد العثماني الذي كان هدفه هو دفع التحرشات التي لاحقت المسلمين جرّاء تكالب المسيحية التي ما فتئت تشن غاراتها البحرية على السواحل الجزائرية ، و اهتم الورتلاني أيضا بالحديث عن أحداث بسكرة وما جرى فيها من ظلم الأتراك للشعب وتشتيتهم له واستلائهم على مدارسة وأوقافه وحبوسه والقضاء على وسائل ثقافته[4].

تحدث العياشي أيضا على هذا التوتر والصراع فقال: أن أهل البلد كانوا في حروب دائمة، وكانوا يحرصون على ديارهم، وينتظرون قدوم العساكر من أميرهم الريغي، فيزحفون إليها معتقدين أن أموالهم ودمائهم حلال، وقد سألت البعض منهم:" هل يذهب أحد منكم هذا العام للحج؟" فقيل لي: من ذا الذي يذهب هذه السنة للحج ويدع الجهاد في باب داره فلا تظن أن أحد من أهل البلد يشتغل بشيء هذا العام إلاّ بالجهاد، وسبب توهمهم المتقدم في الحجاج أن بعض صعاليك الحجاج ممن قصده التمعش جلسوا عند سلطان واركلا وخدموا عنده

[1]– يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص 2.

[2]– مختار بن الطاهر الفيلالي: **المرجع السابق**، ص 60.

[3]– هو الشيخ سيدي عبد الرحمان ابن إدريس التواتي التنلالي، زار الجزائر(1231هـ–/1816م)، للمزيد أنظر: عبد الرحمان بن ادريس التنلالي: **رحلته إلى الجزائر العاصمة**، دار كردادة للنشر والتوزيع، (د– ب)، (د– ط)، ص 05.

[4]– مختار بن الطاهر فيلالي: **المرجع السابق**، ص 74.

وأعطاهم السلاح فبلغهم ذلك، فظنوا أن الركب كلهم متفقون معهم على ذلك، ثم ارتحلنا من هناك قاصدين وادي ريغ في أرض ذات رمال لا يهتدي فيها إلا من مارسها كثيرا[1].

كما يبدو أن مدينة الجزائر، قد تعرضت خلال القرن الخامس عشر(15م)، إلى الأطماع المتضاربة للزيانيين والحفصيين من جهة وأطماع الإسبان من جهة أخرى فساء حال أمنها وتجارتها ونحن نجد في شكوى سيدي أحمد بن عبد الله إذ يقول:

كدنا من أجل الحادثات بها نختار – والله– للسكنى بواديها

من بعد عيش هني عم ساكنها وبعد عافية حلت بناديها.

وقد استمرت هذه الحادثات إلى القرن السادس عشر(16م)، إذ حاصر الإسبان مدينة الجزائر إبتداءا من سنة 1510م، وضاق الحال بأهلها فاختاروا وتوجهوا إلى الإخوة بربروس الذين قد دخلوا ميناء جيجل، حيث طلبوا منهم النجدة ضد الإسبان، وهو الصراع الذي انتهى بسيطرة عروج على المدينة والتخلص من أميرها سالم التومي. [2]

وقال الزياني أثناء توجهه إلى قصر الباي مع أحد الرّجال: توجهت معه إلى أن دخلنا الدار وصعدنا في المدارج إلى محل جلوس في محكمته فوجدنا أعيان رجاله ومماليكه وشواشه قائمين يمينا وشمالا خارج القبة التي هو بها وهوفي داخلها مع كتابه وكبار دولته، والرجل معي إلى أن واجهنا باب القبة ووقع نظري على الباي ونظره عليا ولم أجد الرجل فلم يسعني الرجوع بعد مقابلته فدخلت القبة وسلمت عليه وهو جالس على الأرض يحسب مال بين يديه، فرد السلام فقال: هذا فلان فقلت نعم فقال: مرحبا بك أهلا وسهلا[3].

وكذلك يشير الورتلاني أنه من عادة حكام الأتراك وجندهم الظلم والتعدي وأخذ الرشوة، وقد ساد ظلمهم في بايلك قسنطينة وعامّة القطر الجزائري، حيث لاحظ بمدينة قسنطينة قصبة كبيرة بها حامية عسكرية تركية كثيرة، وبايها صاحب سطوة ونفوذ قويين، ويشير بذلك إلى تفشي الظلم فيها كثيرا وما نتج عنه من فساد جهاز الحكم التركي، حيث أصبح الولاة فيه لا

[1]– عبد الله بن محمد العياشي: **المرجع السابق**، ص 119.

[2]– ابو القاسم سعد الله: **المرجع السابق**، ص 498.

[3]– مولاي بالحميسي: **المرجع السابق**، ص 181.

يهمهم سوى تحقيق شهواتهم وصرف أموال الحزينة في مصالحهم الخاصة.[1]وقد مدح الزياني حسن باشا فقال:" فذكروا لنا أوصافه البهية وسيرته المرضية السنية، ماملأ من الأسماع وقام عندما يقام الإجماع أبقاه الله لحياطة هذه الأمة، وزاده عزا وحفظه من كل آفة ونقمه فأردته أن أثبت ما سمعت من فضائله وإن كنت لا أحصيها على التمام، المشهورة عند الخاصة والعام وأجعلها في قرطاس طلبا للأجر والصواب، و إذا أحبّ الله عبدا ألهمه إلى الصواب، فإنه – حفظه الله– من أمراء العدل ومن أهل المروءة والفضل لماّ جلس على كرسي الخلافة السعيد سوى بين القريب والبعيد وانتصف المظلوم من الظالم وأعز المسكين والشريف والعالم، وقمع أهل الزيغ والفساد وأجرى أحكامه على القانون الشرعي والمذهب الحنفي وأجر الصدقات على الفقراء والأيتام والمعونة لأهل الحرمين في كل عام.[2]

المطلب الثاني: الجانب الاقتصادي.

استطاع الرحالة العرب أن يرسموا لنا صورة وإن كانت بسيطة عن الحالة الاقتصادية في الجزائر من حيث الصناعة والزراعة والتجارة.

فتحدث الورتلاني عن الجزائر قائلا: فأرض الجزائر مع اختلاف مناطقها تصلح لزراعة الحبوب وتربية المواشي، خاصة إقليم قسنطينة وبلاد القبائل حيث تكثر بها البساتين ذات الثمار المختلفة الأنواع وكذا الحبوب، حيث تنتشر واحات النخيل التي تمتاز بتمورها الجيدة.[3] فبالنسبة للجزائر أشار الرحالة الورتلاني بأن الوطن يعني منطقة القبائل يكثر فيها أنواع الثمار المختلفة كالزيتون والعنب والتين وأنواع الحبوب، غير أن أسعار هذه الأخيرة مرتفعة جدا من فصل إلى آخر حسب الحاجة إليها، معللا ذلك بكثرة السكان وكثافتهم فيقول: " ...فيه الزيتون والعنب والتين بكثرة الحرث...غير أن الوطن[4] عزيز غالي،...وسبب ذلك كثرة الناس.[5]

---

[1]– مختار بن الطاهر فيلالي: **المرجع السابق**، ص106.

[2]– مولاي بالحميسي: **المرجع السابق**، ص187.

[3]– مختار بن الطاهر فيلالي: **المرجع السابق**، ص 119

[4]– يقصد بها ناحية أو منطقة معينة للمزيد أنظر: نفسه: ص28.

[5]– الحسين بن محمد الورتلاني: **المصدر السابق**، ص 28.

كما أكّد الحسن الوزان على ما ذكره الورتلاني وغيره من الرحالة من خلال ما قاله عند زيارته لإقليم قسنطينة فقال:" وهذه الأراضي صالحة للحبوب، والزراعة بمختلف أنواعها فهو إقليم فريد من نوعه، حيث تسكن هذه الأراضي قبيلة مرداس العربية، وتمتلك كثير من البقر والضأن، وتنتج هذه المواشي من السمن كميات يبيعها أصحابها في سوق عنابة بثمن قليل بسبب توافرها بشكل كبير، وكذلك بالنسبة للقمح تأتي سفن عديدة كل عام من تونس وجربة وسائر موانئ القطر وكذلك من جنوة لتشتري القمح والسفن من عنابة حيث تستقبل استقبالا حسنا.[1]

ومدينة قسنطينة عامرة بها أسواق وتجار أهلها مياسير ذو أموال وأحوال واسعة في الحرث والادخار، وقسنطينة من أحصن بلاد الله، وهي مطلة على فحوص[2] متصلة ببعضها البعض ولها مزارع الحنطة والشعير وممتدة في جميع جهاتها، والحنطة تقيم بها في مطامير مائة سنة لا تفسد في كل دار منها مطمورتان وثلاث أو أربع مقصورات في الحجر، وكثير من السمن والعسل، الذي يرسل من قسنطينة إلى سائر البلاد أي خارج البلاد أو داخلها.[3]

ويقدم الورتلاني وصفا دقيقا للحياة الاقتصادية للمدن الجزائرية، وقد خص بحديثه مدينة قسنطينة، فقال: " هي مدينة لها أسواق كثيرة ودكاكين هامة، فهي واسعة الأرزاق والخيرات من لحم وقمح وسمن وتين وتربية للمواشي وزراعة لمختلف الحبوب، وهذا بالإضافة إلى القوافل التجارية التي ترد إليها من كل ناحية محملة بمختلف السلع

والقسنطنيون فيهم عدد كبير من الصناع والتجار الذين يتعاطون تجارة الأقمشة الصوفية المصنوعة محليا... كل هذه البضائع تستبدل بالتمر الرقيق، ولا توجد مدينة إفريقية يباع فيها التمر بثمن بخس كقسنطينة.[4]

---

[1]– **المصدر السابق:** ص ص 231– 247.

[2]– جمع مفردة يقصد به الصالح من الأرض للسكن للمزيد أنظر: عبد الحفيظ بورايو و عبد الله حمادي: **المرجع السابق**، ص 79.

[3]– الشريف الادريسي: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج1، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1989، ص ص 150– 160.

[4]– الحاج أحمد بن مبارك: **المصدر السابق**، ص ص 54–58.

وهذا ما أكّد عليه حسن الوزان، في قوله:" أن قسنطينة بانوراما حافلة بالأسواق، فهي مدينة عربية إسلامية في أزهى أيامها وهي من دون شك أيام انتمائها الى الدولة الحفصية اذ كانت تعتبر ثاني مدينة بعد مدينة الحفصيين.[1]

كما وصف الرحالة العياشي أيضا الأهمية الاقتصادية للمدن الجزائرية ويتجلى ذلك في حديثه عن تجارة أهلها قائلا: " قد نزلنا واركلا قبل غروب الشمس ونزلنا باب المدينة المسمى باب السلطان وكان من لطف الله بالحجاج أن صادف دخولهم، دخول قافلة من أعراب الأرباع قدمت بسمن كثير وغنم وزرع وإبل و اشترى الناس ما احتاج اليه بابخس ثمن.

فقدمت أخرى بعدها بيوم تحمل مثل ذلك أكثر، فتنعم الناس في اللحم والتمر والسمن واشترى الحجاج عنها كثيرا حتى كان تلك الليالي الثلاث التي أقاموا بها ليالي منّى من كثرة اللحم، كما تحدث أيضا العياشي عن الصحراء وقال: " هي عبارة عن سوق مكتظة بالقوافل المتجهة في كل الاتجاهات، المتنقلة المحملة بأنواع البضائع ومختلف السلع التي هي تخدم حاجيات السكان في الداخل والخارج، و قد تحدث العياشي عن غلاء تافيلات ورخص توات، فقال: " الذهب فيها أرخص وكذا سعر القوت من الزرع" كما تعامل الناس بالمثقال، أما عمالة ورقلة فيكثر فيها النحاس ، واشتهرت بعض المدن بغلائها مثل الأغواط، وأخرى برخصها مثل بوسمغون وتوات التي بها سلع تجلب من الآفاق فمنتوجات الصحراء لا تنحصر في التمر وحده، فبسكرة زاخرة بكل ما تشتهيه الأنفس من تمر وزيتون، وكتان وحناء وفواكه وخضر، ويقول حتى فضلها رحالتنا على أمصار المغرب. [2]

كما تحدث الرحالة أبو راس الناصري[3]، حيث قال: " عرف النشاط الاقتصادي في الجزائر في العهد العثماني انتعاشا ملحوظا نوعا ما، رغم الاضطرابات السياسية، والفتن الداخلية التي تقوم بإثارتها بعض طرق الزوايا آنذاك، وتجدر الإشارة إلى التعرض لأهم ميزات

[1]– الحسن بن الوزان الحسن: **المصدر السابق**، ص 56.

[2]– مولاي بالحميسي: **المرجع السابق**، ص ص 112–113.

[3]– هو ابو راس محمد بن أحمد بن الناصري الراشدي عام(1150هـ/1737م)، بقلعة بني راشد قرب مدينة معسكر بالغرب الجزائري للمزيد أنظر: عبد الرحمان الجيلالي: **المرجع السابق**، ص 150.

تلك الفترة الممتدة ما بين (1155هـ-1238هـ/ 1737م-1823م)، خاصة في جانبها الاقتصادي وبالأخص المنتوجات الزراعية والحرف الصناعية والمهن البدوية والمبادلات التجارية[1]

كما وصف لنا الورتلاني وصف دقيق لمظاهر متعددة من النشاط الاقتصادي لقسنطينة قائلا: بأن بها أسواق كثيرة ودكاكين هامة فهي واسعة الأرزاق والخيرات، من لحم وسمن وقمح وتين وذلك لخصوبة أراضيها وكثرة مزارعها وصلاحيتها لزراعة الحبوب وتربية المواشي، وهذا بالإضافة إلى القوافل التجارية التي ترد إليها من كل ناحية محملة بمختلف السلع، وذكر أيضا أن الأسعار فيها منخفضة وإن أصيبت بموجة غلاء فلا تدوم بها طويلا وذلك لأن رزقها لا يقل فضلا عن أن ينفذ، ولعلّ مما يؤكد ازدهارها ورخاء أسعارها ما لاحظه الرحالة من الأموال الضخمة التي كانت ترسل إلى الخزينة العامة بالعاصمة كضرائب عن إقليم قسنطينة وهو ما كان يسمى بالدنوش،[2]اكتست الأرض الجزائرية أهمية كبيرة في العهد العثماني لما لها من تأثير على النشاط الاقتصادي وارتباطها المباشر بالمحاصيل الزراعية، فالأغلبية الساحقة للمجتمع الجزائري ظلت طيلة الوجود العثماني مجتمعا ريفيا يعش على استغلال الأراضي.

كما أجمعت المصادر أن 95% من هؤلاء كانوا يمارسون نشاطا فلاحيا رعويا، وهذا ما جعل نوعية الأرض وامتلاكها وطريقة استغلالها أساس للحياة الاقتصادية، وقد شكلت القبيلة إطارا سياسيا واجتماعيا للمجتمع في معظم جهات البلاد مما حافظ على شكل ملكية الأرض، ونمط الإنتاج طيلة فترة الوجود العثماني، حيث تسود الزراعات المعايشة وزراعة الأشجار المثمرة في المناطق الجبلية وتباين حرفتي الزراعة والرعي في المناطق التلية. [3]

---

[1]- أبو راس الناصري: **لقطة العجلان في شرف الشيخ عبد القادر بن زيان وأنه من بني زيان ملوك تلمسان**، تح: حمدادو بن عمر، ، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، (د-ط)، 2011، ص 27.

[2]- مختار بن الطاهر فيلالي: **المرجع السابق**، ص 121.

[3]- دليلة رحمون: **السياسة الزراعية الفرنسية في الجزائر أثرها على المجتمع الجزائري، (1830-1914)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر، قسم: العلوم الإنسانية، جامعة: محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2012-2013، ص 10.

وقد ذكر حمدان خوجة "أن قمح متيجة هو أقل جودة" أي انه تحدث عن الانتاج الفلاحي الخاص بإقليم متيجة، وان معظم السكان يستهلكونه بكمية كبيرة، والحرث يبدأ عادة في وسط أكتوبر بعد سقوط الامطار ويأتي الحصاد في اخر ماي وبداية شهر جوان من كل سنة، والحديث هذا دليل على اهتمام الجزائريين بالنشاط الفلاحي وانهم يعتمدون عليه في معيشتهم ومعيشة الحيوانات أي المنتوجات الفلاحية (قمح- شعير).[1]

وذكر التمكروتي في النفحة المسكية بأن: " مستغانم يوجد في أرضها القطن"، ومن جهة أخرى كان الجزائريون يقومون بزراعة الكتان الذي كان يزرع بكثرة في السهول المحيطة بالمدينة ويمد العاملين في نسج القماش بالمادة الأولية[2] ويعتبر من النوع الممتاز حتى أنا الديوان كان يرسل منه هدايا الى القسنطنطنية، أما التبغ فكانت الإيالة تزرع مساحات شاسعة منه والذي يعتبر من أرقى الأنواع في العالم ويصدر إلى البلدان المجاورة، وكان يزرع في نواحي عنابة وفي جهات دار السلطان وفي بعض الواحات الصحراوية، وقد تميز تبغ وادي سوف الممزوج بالحشائش الطبيعية بطيبة ونكهة وإقبال المدخنين عليه وعرف تبع أولاد شلبي بمتيجة الوسطى بنوعيته الممتازة.[3]

والغابات الجزائرية كانت ضيقة المساحة إلا أنها تشمل جلّ أنواع الأشجار التي توجد بالغابات الكبرى في مختلف البلاد، ونجد قسما هاما من أراضي الجزائر الشمالية كان في الفترة التركية مغطاة بالغابات وقد أزيل قسم كبير من هذه الغابات في أوائل القرن التاسع عشر (19م)، نتيجة إنتشار الحياة الرعوية، فمنطقة الهضاب العليا الشرقية أصبحت جرداء لا تدل على غاباتها المنقرضة سوى بعض المظاهر الجغرافية وحتى منطقة الساحل المجاورة لمدينة الجزائر قطعت أشجارها سنة 1789م.[4]

---

[1]- **المرآة**، تقديم وتع : محمد العربي الزبيري، دار القصبة، الجزائر، 2006(د-ط)، ص 87.

[2]- ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000، ص 515.

[3]- محمد العربي الزبيري: **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، الشركة الوطنية، الجزائر، (د- ط)، 1972، ص 60.

[4]- أحمد توفيق المدني: **المصدر السابق**، ص 230.

المبحث الثالث: الجانب الاجتماعي والثقافي.

سجّل لنا الرحالون العرب معلومات هامة عن الأحوال الاجتماعية داخل الأقطار العربية التي مرّوا بها أو أقاموا افيها، سواء متعلمين أو مدرسين فلاحظوا الانحلال الخلقي وانتشار المناكر و المفاسد التي زادت من تدهور الأوضاع خاصة في الجزائر التي خصوها بحديثهم.

المطلب الأول: الجانب الاجتماعي.

فالرحالة الورتلاني خصص جزءا بشاهدات من رحلته الجزائر فكانت لرحلاته الداخلية نحو الجنوب، والقبائل الكبرى وبجاية تعرّض في رحلته إلى الحالة الاجتماعية السائدة في بعض هذه المناطق آنذاك، كما ذكر أماكن مختلفة نحو الغرب الجزائري وكذلك الشرق، مشيرا إلى زيارته إلى تلمسان و عنابة.[1]

وقد أكّد الورتلاني أن المجتمع القسنطيني سيطرت عليهم متعة الفسق والفجور، فينفقون معظم ما ربحوا على النساء الساقطات، حيث قال: " وعلى تقدير الأموال فقد صرفها أهلها في شهوات أنفسهم كالملابس والمشارب والأكل والفواحش.[2]

ولم ينسى الورتلاني أن يتحدث عن الفقر الذي كان يسود منطقة زواوة بسب ضيق الموارد الطبيعية من جهة، وسبب الغلو في الضرائب التي كان يفرضها الولاة وهذا من أجل خدمة مصالحهم وجمع الأموال لصرفها في نزواتهم وشهواتهم وهذا زاد السكان فقرا على فقر وأصبح الفقرة في تلك الفترة من الظواهر الاجتماعية التي أدت إلى الانحطاط والتدهور في جميع المجالات.[3]

حيث قال الزياني أنه أقام بالجزائر أربعة وعشرين يوما وهو في طريق الذهاب إلى المشرق وسبعة أشهر قبل عودته، إلى المغرب، حيث قال أن الجزائر لازالت تعاني من أثر

---

[1]– مختار الطاهر فيلالي: **المرجع السابق**، ص 133.

[2]– عبد الحفيظ بورايو وعبد الله حمادي: **المرجع السابق**، ص 119.

[3]– **المصدر السابق**، ص 687.

الوباء[1]، وأن الزائر يفضل النزول في الخيام المضروبة خارجها وأن المكان الأكثر نشاطا هو المرسى فيقضي فيها الاجنبي أوقات فراغه، وأن الوباء المنتشر في البلاد الجزائرية كانت له آثار سيئة التي أخلت البلاد وأفنت العباد وكتب الزياني قائلا:" وكان عاما في العمائر التي بينها(تلمسان) وبين الجزائر، فما نزلنا منزلا إلا وجدنا أهلا يدفنون موتاهم".[2]

حيث شهدت الجزائر أوضاع صعبة للغاية، تميزت بظهور الجفاف والمجاعات وتعدد وتوالي الكوارث الطبيعية كالزلازل والفيضانات وغزو الجراد الأمر الذي أدى إلى تردي الأوضاع الصحية فانتشرت الأمراض والأوبئة الفتاكة التي كانت لها أسوأ الأثار على البلاد والعباد على حد سواء كما أثرت سلبا على الزراعة، حيث افتقرت الأرياف والمدن من سكانها وكثرة الأمراض والاوبئة بشكل يثير الانتباه.[3]

وقال: الزياني" ثم بعد إقامتنا سنة ونصفها خرجت من منطقة زواوة إلى مدينة الجزائر فرارا من الوباء الذي حلّ بها أي الوباء الذي حل بمدينة تلمسان، وكان عاما في العمائر، حيث أنه أصاب الكثير وأدى بموتهم وهلاكهم فكان وباءا فتاكا، ولما بلغنا المدينة أي الجزائر العاصمة وجدنا الوباء بها خفيفا فنزلت خارجها وبنيت مضاربي ووجهت من حاشيتي ما يأتيني باللوازم من لحم وخطب وعلف دواب، فما رجع إلاّ وأنا مصاب بالحمىّ فدعاني للعشاء فلم أقدر، ولما أصبح رأيت المكان الذي أصبت فيه متورما فعالجته بما عرفت فأقام ثلاثة أيام وانفجر، وسرت أعالجه بالمراهم إلى أن حصلت الراحة".[4]

وأيضا تحدث العياشي عن كرم أهل بونة أي (عنابة) وهذا عند بقائه فيها مدة يومين وزيارته لقبر الولي الصالح أبي عبد الملك مروان بن علي بن القطان، فمدحه قائلا:" كان رجلا

---

[1]– هو وباء إنتشر في الجزائر وكانت له آثار سيئة وكان عاما في العمائر خاصة تلمسان للمزيد أنظر: مولاي بالحميسي: **المرجع السابق**، ص 40.

[2]– نفسه: ص 39.

[3]– دليلة رحمون: **المرجع السابق**، ص 26.

[4]– مولاي بالحميسي: **المرجع السابق**، ص 174.

فاضلا حافظا نافذا في الفقه والحديث أصله من قرطبة، كذلك مدح العياشي أهل بونة فقال: هم أحسن الناس سمعا، فقد سمعوا منا وسمعنا منهم.[1]

أمّا ابن زاكور تحدث عن المجتمع الجزائري فقال: " قمت ونهلت من حياض علومهم وأخلاقهم حتى تضلعت وكرعت وفي أنهار بلاغتهم حتى رويت وهصرت من أفنال براعتهم ما هويت ونسيت ببشرهم وتأنيسهم ما عانيت من رهج[2] القفار وقضيته في لجج البحار:

ولو لم يزد إحسانهم وجميلهم على البرّ من أهلي حسبتهم أهلي.[3]

كما تحدث الزياني عن كرم أهل الجزائر أي باياتها وباشواتها فقال: " أنهم أكرم الناس، فقد أحسنوا الضيافة عند نزوله عندهم، فوصفهم بالدين والعلم والعدل، والكرم والجود.[4]

وأيضا شهدت الجزائر توالي الكوارث الطبيعية كالزلازل والفياضات والجفاف، وكثير ما كان مصحوبا بآفة غزو الجراد حيث يذكر الشريف الزهار في مذكراته: " أن جاء الجراد في هذه السنة1230هـ في ربيع الثاني، حيث كان في البداية طائرا، ثم أقام أياما في الأرض ثم خرج وأكل الثمر والأشجار والزرع، وكان ذلك عام 1794م، كما تعرضت البلاد إلى مجاعات رهيبة اضطرت بالناس إلى الميتة والدم ولحم الخنزير والعياذ بالله من ذلك".[5]

وهذا ما أشار إليه حمدان خوجة بقوله: " وفي سنة 1800م، أصيبت الجزائر بمجاعة كبرى وقعت الحاجة إلى الأقوات، فأمر الداي التموين البلاد بالذهاب إلى موانئ البحر الأسود لشراء القمح، كما شهدت بدايات القرن التاسع عشر(19م)، موجه من فترات المجاعة والقحط وكثيرا ما ترتب عنها الفقر والموت وقلة الموارد الغذائية وارتفاع أسعارها".[6]

---

[1]– عبد الله بن محمد العياشي: **المصدر السابق**، ص ص 53–54.

[2]– هو الغبار.

[3]– **المصدر السابق**، ص 41.

[4]– مولاي بالحميسي : **المرجع السابق**، ص 181.

[5]– الحاج أحمد الشريف الزهار: **مذكرات نقيب أشراف الجزائر**، تح: أحمد توفيق المدني(1754–1830)، الشركة الوطنية ، الجزائر، ط2، 1980، ص 117.

[6]– دليلة رحمون: **المرجع السابق**، ص 27.

أيضا تحدث الورتلاني عن سكان بلاد القبائل وخاصة الأعراش المحيطة ببني ورتلان فقال:" إنهم خرجوا عن طاعة الله ورسوله، ونبذوا الأحكام الشرعية، واتبعوا العادات السيئة والبدع الشنيعة، كمنع النساء من الميراث، وأكل أموال الناس بالباطل، وأموال اليتامى والضعفاء والأرامل، وقد وقعوا في ظلمات ومشاحنات وخلافات لم يجدوا لها حل، ويترسل الورتلاني في الحديث عن الأوضاع الاجتماعية المتردية فيشير إلى زيارته للشيخ الهادي وأولاده وعند لقائه به حدثه عن الاعتداءات التي حدثت لهم من طرف قطاع الطرق وأخذ أموالهم و قطع أشجارهم وقتلهم، وحرقوا القرية بكاملها.[1]

أكّد الورتلاني أن هذه الحروب والفتن تؤدي إلى تدمير وتخريب قرى بأكملها، مما يدفع الباقي من سكانها إلى الهجرة إلى أماكن أخرى بعيدة عن الظلم والاضطهاد، ويصف أن الجزائر تعيش في فوضى واضطراب منعدم النظر، حيث ديست القوانين الاجتماعية وانحطت الصفات الاخلاقية وزالت الأحكام الشرعية وبقي المجتمع يموج كالبحر فلا هدوء ولا استقرار، لا أمن مع قساوة الطبيعة وفي خضم هذه الفوضى يسود الفقر، وتنتشر المجاعة فيلجأ بعض الأفراد إلى احتراف السرقة وتكثر بذلك القبائل المتناحرة والمعادية لبعضها البعض[2]، وركّز الرحالة على" قصر الطير " بحكم أنه منطقة تجمع للحجاج، فقال: تسود فيه الاضطرابات والفوضى وتكثر فيه السرقة، وهو معرض للزوال والخراب، والشر والخطف، بل وإنهم يقومون بالغارات على غيرهم، وقد خاض معهم الركب معارك كبيرة[3].

المطلب الثاني: الجانب الثقافي.

لقد زودنا الرّحالة العرب بمعلومات قيمة عن الحالة الثقافية في الأقطار العربية، وقد خصوا في حديثهم الجزائر عموما ملاحظين فيها قلة العلم وأربابه، وهذا بسبب إهمال الحكومة التركية لذلك ومن بين الرحالة الذين تحدثوا على هذا الجانب ، الرحالة الورتلاني، فقد أسهب

[1]- مختار بن الطاهر فيلالي: **المرجع السابق**، ص 134.

[2]- نفسه، ص ص 135-137.

[3]- **المصدر السابق**، ص ص 84- 107.

في هذا الأخير في الحديث عن الجانب الثقافي، حيث ذكر عددا كبير من علماء البلد من مدرسين و مؤلفين ومرابطين وقضاة ومفتيين وولاة سواء كانوا من معاصريه أو سابقين عنه، فقد أورد في حديثه عن زيارة سيدي خالد الذي أصبح قبره محجا لوفود كثيرة تأتيه من المشرق والمغرب[1]، كما حدثنا الرّحالة بدوره عن اجتماعه بعلماء منطقة الزاب في الجنوب التي تعرف عليها، حيث ذكر منهم الشيخ محمد الشريف والشيخ عبد الباقي، والفقيه عبد الباريء وكثير من الطلبة ، وكذلك صرّح لنا الورتلاني بزيارته لضريح الشيخ عبد الرحمان الأخضري بطولقة، [2]وأبي جملين بالمسلية كعادة علماء عصره لكن لم يذكر أحدا منهم وفي طريقه زار بلاد القبائل والتقى بفقهائها ومدرسيها وذكر منهم الشيخ حسين بن أعراب من بني برائن والشيخ أحمد بن بابا سالفليس والشيخ أحمد بن عمر التدلسي.[3]

أما الحسن الوزان فكان حديثه عن مدينة قسنطينة حيث قال: " شهدت مدينة قسنطينة أيام الحكم العثماني حياة فكرية نشطة في مجالات الابداع المختلفة وعرف كل مجال من المجالات عدة رجالات كانت لهم الباع الطويلة في ميدانه، غير أن هذا المجال الرحب الذي جال فيه علماء قسنطينة كالمجال الديني من علم بالأصول والفقه وعلوم المعقولات والمنقولات والتفسير وهذا التطور الملحوظ ساهم فيه الأتراك والأهالي على وجه سواء، حيث بلغ عدد المساجد في هذه الفترة حوالي خمسة مساجد كبرى وسبعين مسجدا صغيرا منتشرا عبر أحياء المدينة وبعضها في غاية الإتقان.[4]

لقد ارتبط الوضع الثقافي عامة والحياة الفكرية خاصة في ولايات المغرب العثماني بالمؤسسات التعليمية، والتنظيمات الحيوية وتأثر إلى حد كبير بدور الفقهاء في المدن، وشيوخ الزوايا في الريف بينما عكست المظاهر الفنية لا سيما العمارة والموسيقى ميول وأذواق ونوعية

---

[1]- مختار بن الطاهر فيلالي: **المرجع السابق**، ص ص 161-172.

[2]- ولد الأخضري (910هـ-1512م)، من عائلة علمية شهيرة من قبيلة بني سليم العربية للمزيد أنظر: مصمودي فوزي: **العلاّمة الموسوعي عبد الرحمان الأخضري ، شخصيته ومواقفه**، دار موفم، الجزائر،(د- ط)، 2005، ص ص 17- 53.

[3]- **المصدر السابق**، ص 6-7.

[4]- عبد الحفيظ بورايو و عبد الله حمادي: **المرجع السابق**، ص 119.

حياة سكان المدن والريف وقد اشتهرت المدارس والزوايا في البلاد الجزائرية،[1]ونجد أن الرّحالة العرب وقفوا عند الحياة الثقافية، فأجابوا وتحدثوا ووصفوا ومن بينهم الزياني، حيث يخبرنا بمكان بتلمسان ، حتى تلك التي أشار إليها أبن خلدون مثل تاريخ سليمان بن إسحاق المطماطي، وتاريخ هاني بن يصدور القوصي وتاريخ كهلان بن أبي أودي الأوربي في أنساب البربر، وكذلك كتب العقباني وأبن مزروق وأبي حمو موسى الرياني، وقد وجد فيها الرحالة ضالته لاسيما أنه أقام بتلمسان سنة ونصف.

وعند انتهاء الزياني من الحديث عن علماء تلمسان ذهب إلى الحديث عن قسنطينة فقال:" فيها عددا من العلماء والتقى ببعضهم، وكان مسرورا بهذا اللقاء الذي أنساه وحشته وزاد معلوماته وهم: الشيخ عمر الصايغي وأبو الحسن علي بن مسعود الونيسي، وأبو القاسم المحتالي، وأحمد بن المبارك العلمي والسيد ونيس البورنياري، وكلهم أصحاب أدب وعلم وفقه وفضل غير أن أصحاب التراجم أهملو الكثير منهم ولم ينصفوهم في كتاباتهم أو بالأحرى لم يتكلموا عنهم[2]

أيضا تحدث الزياني عن الطلبة بتلمسان فقال: لما انتقلت من تلمسان ونزلت بجوار أبي مدين بالعباد، واخترت العزلة عن العباد، إنهال علي طلبة البلاد، وفقهاء ذلك العصر، وكانت لهم جبة لباس، وقصدونا للمذاكرة والمسامرة والمحاضرة، وأتحفونا بما عندهم من كتب الأخبار، وتواريخ من مكان ببلدهم من الأخبار، فأتحفني الفقيه والأديب السميع، الأريب، خطيب مسجد أبي مدين بتاريخ الإمام المؤرخ أحمد بن يحي البلاذري في ستة أسفار، وهؤلاء الطلبة الذين بتلمسان ليس فيهم من يحسن منطقا ولا لغة عربية لإصلاح اللسان، ولا يتعاطون الفروع الفقيه والأحاديث النبوية.[3]

---

[1]– نور الهدى بوعلاق ووريدة بوعبد الله: **الحياة الاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني (1519– 1671)**، مذكرة مكملة للحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، ق: العلوم الانسانية، ج: الشهيد حمّة لخضر، الوادي، 2016–2017، ص 52.

[2]– مولاي بالحميسي: **المرجع السابق**، ص ص 37–39.

[3]– نفسه، ص 160.

وتعتبر بسكرة من أهم المحطات التي حل بها الورتلاني وتكمن أهميتها في ثلاث نقاط: أنها موطن صاحب الطريقة الشاذلية وقبر أحد الأولياء الصالحين عبد الرحمان الأخضري، وثالثا وجود قبر أحد الصحابة عقبة بن نافع الذي يقع في منطقة سيدي عقبة بالقرب من المدينة.[1]

أيضا نجد أن كل من الرحالة العياشي والورتلاني تحدثا عن الطريق الذي يسلكه الحجاج وهذا الطريق من" زمورة" إلى "وادي بوسلام" متجهين نحو الجنوب إلى " قصر الطير"، حيث تجمع أغلب الحجاج أي حجاج القطر الجزائري ليتجهوا من هناك نحو مدينة بسكرة للسفر على الطريق الكبير، وقد أشار الورتلاني إلى أن إمارة الركب الجزائري في حجته الأولى (1153هـ/1740م)، كانت قد عقدت للشيخ بدر الدين بن عبد الكريم الفقون، شيخ الإسلام بمدينة قسنطينة والذي كان أمير للركب دون أن يعطي تفصيلات لذلك.[2]

وبالنسبة للكيفية التي يتم بها تأليف الركب، ركب الحج فإننا نجد أن أمير الركب ينتقل أولا إلى العاصمة، وبعد أن يحصل على الموافقة من السلطات المركزية يبدأ في إصدار الأوامر بالبدء في نشر خبر الحج، فينطلق المعلنون الرسميون يجوبون المدن والقرى، ويعقدون اجتماعات متتالية بوضع خطة تأليف الركب وإبلاغ الناس بالأمر وترغيبهم في الحج بوسائل مختلفة، كأخبارهم بأن أغلب العلماء والأولياء والحكام قد قرروا الحج هذه السنة، مما يزيد الناس رغبة وإقبالا إلى الحج.[3]

وقال الورتلاني في هذا الصدد: " وبالجملة فلما سمع الناس من عمالة الجزائر بحج هؤلاء الفضلاء، ونخبة العلماء، حركهم ذلك إلى شد الرحالة إلى بيت الله الحرام من كل بلد، ووقع الضجيج بين عامة المسلمين ومن خاصتهم، وذلك من الحاضرة والبادية حتى ذهب جميعهم بنسائهم وأولادهم"، وقد عم النداء كافة أسواق المدن والقرى، فيبدأ الناس في الاستعداد لهذا السفر الطويل زمانا ومسافة وبعد ذلك يتجهون نحو محطات التجمع بقصد السفر.

---

[1]– عبد القادر بلعربي: **المرجع السابق**، ص 86.

[2]– مختار الطاهر فيلالي: **المرجع السابق**، ص 83.

[3]– نفسه، ص ص 84-85.

تحدث أيضا الورتلاني عن تشكيلة الركب فقال: "أنه يشمل كل الطبقات الاجتماعية متمثلة في موظفين كبار، ورؤساء القبائل وقضاة، وعلماء ومرابطين، فقراء، مساكين، كلهم مزودين بعقيدة راسخة وإيمان ديني عميق لمواجهة كل الصعاب، أما وسيلة السفر في المناطق الجزائرية إلى غاية طرابلس فتكون بواسطة البغال والحمير وبعض الإبل وعلى الأقدام حتى يصلوا إلى طرابلس".[1]

وهكذا تكون رحلة الركب الجزائري ويعود كغيره من أركاب الحجاج المغاربة بعد السفر الطويل، وقد يتعرض للمخاطر أثناء عودته أكثر مما عاناه في ذهابه، مما يجعله عرضة لغارات اللصوص وقطاع الطرق.[2]

كما تحدث الورتلاني على الركب الجزائرية، حيث قال:"أن الركب ينقسم إلى قافلتين: تسلك الأولى الطريق الشمالي وهم سكان نواحي قسنطينة إلى العاصمة بينما تسلك الثانية الطريق الجنوبي مارة بتوزر إلى سيدي عقبة وبسكرة، كما أشار إلى ذكر مدينتي تلمسان وبجاية وإعتبرها من بين المراكز الثقافية المشتهرة في الوطن العربي، بعد الأزهر والزيتونة وبغداد ودمشق ومراكش وفاس، وقد لاحظ أهم العلوم التي التي تدرس في الجزائر والتي لا تتعدى الفقه وأصول الكلام فحسب، كما يقول: بينما مسائل الأعراب والمنطق والبيان فهم لا يهتمون بها كثيرا حسب رأيه ، كما أشار كذلك إلى أن التعليم في الجزائر صعب لأن السلطة التركية قد أهملت هذا الجانب، وعلى من يريد أن ينشر العلم وأن يتكفل بالطلبة والإقامة والمؤونة وإلا إنقطع التعليم والتدريس وإختفى العلم والعلماء، ولعل ذلك هو السبب في هجرة الكثير إلى تونس ومصر، وكذلك ذكر أن عددا كبيرا من العلماء والطلبة الذين كانوا معه قد ذهبوا للاستزادة وطلب العلم".[3]

وأيضا تحدث عن وضعية التعليم بقسنطينة وإهمال الحكومة التركية لذلك قائلا:" لا تخلو عن العلم غير أن تدريسه فيها إنما يكون في بعض الأوقات كالشتاء وأول الربيع، وأما

[1]- مختار الطاهر فيلالي: **المرجع السابق**، ص ص 86-87.

[2]- الحسين بن محمد السعيد الورتلاني: **المصدر السابق**، ص 232.

[3]- **المصدر السابق**، ص ص 209- 210.

سائر الأوقات فليس فيها العلم الغزير، ولا انعدامه رأسا فليس يفقد جملة وتستمر كليا، فولاتهم لم يستغلوا ببناء المدارس ولا بكثرة الأوقاف والأحباس وبها مساجد للجمعة نحو خمسة ولم يولوها اهتماما كثيرا، وقد ذكر عدد من علماء قسنطينة الذين اجتمع بهم في محل نزوله بضريح الولي سعيد الصفراوي بمدينة قسنطينة".[1]

وقد أكد أبو راس المعسكري أن العلم لم يكن له اهتمام كبير وقد اتسمت الحياة الثقافية بباليك الغرب قبل أن يتولى الباي محمد الكبير الحكم بالخمود والجمود والتحجر، وكان التعليم ينقصه وسائل التنشيط المادي والمعنوي وكانت المدن الرئيسية التي تشتهر بالعلم تكاد تكون خالية من مؤسسات الحكم وأدواته وكذا انتشار الأمين بشكل كبير خاصة بمدينة معسكر، التي كانت عاصمة باليك الغرب يومئذ، ولم يكن مجال العلم مفتوحا أمام عامة الناس.[2]

ونجد أن العلم كان يقتصر على بعض الخاصة، لأنه يتطلب نفقات باهظة وهذا ما أكد عليه الورتلاني سابقا، وهذه النفقات ليست في استطاعة كل واحد يرغب في التعلم أو الدراسة بل كانت قلة هي التي تحتكر هذا الجانب الثقافي وتتميز به دون غيرها، ويوضح أبو راس الناصري الوضع الثقافي في قوله: ...في زمن عطلت فيه مشاهد العلم ومعاهده، وسدت مصادره وموارده، وخلت دياره ومواسمه، وعفت أطلاله ومعالمه، لا سيما فن التاريخ والأدب وأخبار الأوائل والنسب، قد طرحت في زوايا الجدران، ونسجت عليها عناكب النسيان، وأشرفت تسميتها على الأقوال، واستوطن فحولها زوايا الحقول، يتلهفون عن أندلس العلم والفضائل ويتأسفون من انكماش الأذكياء والأفاضل، إلى الله المشتكى من الدهر، إن شاء يشجع العلماء على النهوض بالثقافة على أكمل وجه.[3]

---

[1]– مختار الطاهر فيلالي: **المرجع السابق**، ص 171.

[2]– ابن سحنون الراشدي: **الثغر الجماني في الفتح الوهراني**، تح: المهدي البو عبدلي، عالم المعرفة ، عالم المعرفة، (د– ب)، ط1، 2013، ص 133.

[3]– ابو راس الناصري: **المصدر السابق**، ص 50.

الفصل الثاني: المجالات والجوانب التي تناولها الرحالة الاجانب في كتاباتهم حول الجزائر.

تمهيد :

المبحث الأول: الجانب الجغرافي والعمراني.

المطلب الأول: الجانب الجغرافي.

المطلب الثاني: الجانب العمراني.

المبحث الثاني: الجانب السياسي والاقتصادي.

المطلب الأول: الجانب السياسي.

المطلب الثاني: الجانب الاقتصادي.

المبحث الثالث: الجانب الاجتماعي والثقافي.

المطلب الأول: الجانب الاجتماعي.

المطلب الثاني: الجانب الثقافي.

تمهيد :

سيعرض لنا الرحالة الاجانب معالم وتقاليد وعادات سكان مدينة الجزائر، واوصافها الفكرية ويصفون مبانيها ومساجدها وأزقتها، وأوضاعها مع أنها لا تفتح أمام الدارس والقارئ مجالا كبيرا لملاحظة ومعرفة نفسية الشعب والتطورات التي تطرأ عليه، من حقيقة واعجابا أحيانا وحقيد أحيانا أخرى .

إن المادة التاريخية التي استعملها الكتاب الفرنسيون لم تكن تتجاوز في أغلب الأحيان المصادر الغربية والأرشيفات الأوروبية التي تتألف أغلبها من مذكرات الرحالة ومراسلات القناصل وحكايات المسافرين وتقارير البحارة وانطباعات الرهبان والجواسيس، وبذلك ظلت الوثائق والمخطوطات والكتابات المحلية بالجزائر وتركيا مهملة.

المبحث الأول: الجانب الجغرافي والعمراني.

اهتم الرحالة الأجانب برصد مشاهدات مختلفة حول مدينة الجزائر من الناحية الجغرافية والعمرانية، انطلاقا من مرجعيتهم التي أثرت على أعمالهم، والأغراض التي كانوا يهدفون للوصول إليها من خلال رحلاتهم، فجاءت في تلك الكتابات انطباعات مختلفة.

المطلب الأول: الجانب الجغرافي.

يعتبر القنصل ديبواتانفيل[1]بأن الجزائر مملكة، ولقد استهل في تقريره بتحديد موقعها الجغرافي اعتمادا على مجموعة من الخرائط كما أشار لذلك بنفسه، حيث قال: تمتد هذه المملكة من وادي الزين بالقرب من القالة شرقا، الى مدينة صغيرة تسمى ندرومة، والتي تبعد عن تلمسان لعشرة فراسخ غربا، فهي بذلك تشمل على مسافة تقدر بمائتي وخمسين فرسخ هندسي يحدها مملكة تونس وبلاد الجريد من جهة، ودولتا المغرب الأقصى وفاس من جهة أخرى وتنقسم مقاطعة مدينة الجزائر[2]الى ثلاثة اقاليم أو مقاطعات وهي مقاطعة الشرق ومقاطعة الغرب ومقاطعة التيطري.[3]

كما تحدث ايضا الأسير سيمون بفايفر[4] عن مدينة الجزائر فقال : أنها تقع فوق جبل وتمتد منه منحدرة الى الميناء بحيث ان المياه تلتمس الصفوف السفلى من المنازل.[5]

---

[1]– شارك في الثورة الفرنسية مشاركة فعالة منذ اندلاعها، ففي 14 جويلية 1789م كان من بين القادة الكبار الذين زحفوا على رأس الفي شخص من الجماهير للهجوم على الباستيل، وكان قنصل بالجزائر 1794م للمزيد انظر: فريد بنور: **الجواسيس الفرنسيون في الجزائر1782–1830**، دار الواحة، الجزائر ،(د–ط) ،(د–س)، ص 147.

[2] –يعرف بدار السلطان وهي تمتد من دلس شرق شرشال غربا ومن الساحل شمالا الى سفوح الأطلس البليدي جنوبا ، للمزيد انظر: نفسه: ص 171.

[3]–Nicolas D 'Abbeville Sanson: L'Afrique en plusieurs cartes en divers traites de geographie et d´histoire etc, chez l´auteur Paris1656,p1.

[4]– عاش في الجزائر مدة خمس سنوات وكان اسير، وقضاها كلها في قصر الخزناجي افندي ، حيث اشتغل سنتين في مطبخه ثم اصبح طبيبه الخاص، للمزيد انظر: سيمون بفايفر: **مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر**، تع: ابو العيد دودو، الشركة الوطنية ، الجزائر، 1974، (د–ط)، ص–ص 3–4.

[5]– نفسه: ص 4.

كما تحدث ايضا ج أو هابنسترايت[1] في رحلته الى الجزائر عن موقعها الجغرافي حيث قال: أنها مملكة تقع بين خطي عرض33° و 2037°شمالا خط الاستواء، وبين 15 ° و20°من خطوط الطول غرب جزيرة الحديد، وتحدها من الشمال البحر المتوسط ومن الغرب مملكة فاس، اما من الشرق تحدها مملكة تونس وفي الجنوب فتوجد جبال الأطلس والتي نرى قممها في هذا الوقت (شهر فبراير) مغطاة بالثلوج ، وهذا القطر (مملكة الجزائر) المسمى قديما موريطانيا القيصرية.[2]

كما وصف الأسير تيدنا[3]مدينة الجزائر فقال: تعطي منظرا جميلا رائعا جدا، ومن بين ما يزيدها جمالا ضواحيها التي تشرح الصدر بمنظرها المميز ومنازلها الريفية المبنية على منحدر الجبل.[4]

كذلك اكد القنصل جوزيف مورقان[5]على عظمة مدينة الجزائر من الناحية الجغرافية فقال: " ان مدينة الجزائر هي عاصمة لأقاليم شاسعة، وهي اقليم شاسع مزدهر عرف بتنوع سلاسله الجبلية منذ القدم، وقد حافظ على هذه الخاصية خلال الفترة الحديثة، فهو ذو مناخ طبيعي ومعتدل وجوه ملائم للتعايش البشري عليه.[6]

---

[1]– طبيب وعالم نبات الماني قام برحلة الى (الجزائر –طرابلس–تونس) اقطار المغرب العربي في النصف الأول من القرن الثامن عشر، للمزيد انظر: ج أو هابنسترايت: **رحلة العالم الألماني الى (الجزائر –طرابلس– تونس()1145هـ–1732م)** ، تر: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الاسلامي، تونس، (د–ط) ،(د–س)، ص12.

[2] – نفسه،ص .25

[3]– ولد سنة 1758م في يوزيس لانغدوك ، من عائلة كاثوليكية ميسورة الحال ، ومنذ صباه عملت اسرته على ان يكون من رجال الدين وكان اسير في الجزائر، للمزيد انظر: عميراوي احميدة: **الجزائر في أدبيات الرحلة والاسرى حلال العهد العثماني– مذكرات تيدنا نموذجا** ، دار الهدى الجزائر، (د–ط)، 2009، ص24.

[4] – نفسه ، ص37.

[5]– عاش سنوات طويلة في الجزائر، كان قنصل وتولى بعض المهام في قنصلية بلاده، في عهد القنصل البريطاني العام السيد روبيركول الذي اقام في مدينة الجزائر لأكثر من اربعين عام، وكان مورقان يحسن اللغة العربية، وكان على اطلاع بأحوال البلاد الجزائرية في ذلك الحين ، للمزيد انظر عبد الرحمان الجيلالي: **المرجع السابق**، ص 270.

[6]– نفسه ، ص280

وقد اكد بعض الرحالة الاجانب ان مدينة الجزائر تقع على نصف المسافة بين سبتة وخليج بونة، وهي النقطة الأكثر تقدما في افريقيا[1]

فمن حيث الوسط الطبيعي، كان فحص الجزائر يتوفر على كل الشروط المساعدة على الاستقرار البشري والتطور الزراعي، فالمناخ به صحي معتدل الرطوبة وتنتشر فيه المستنقعات حيث يكثر الذباب ويضاف الى ذلك تربة مدينة الجزائر تتميز بخصوبتها، لاسيما ما يقع منها ببطون الاودية او عند السفوح، بخلاف تربة الساحل الخفيفة المغطاة بالأعشاب والشجيرات البرية، وتربة متيجة العميقة السيئة الصرف الضعيفة التهوية، وكذلك اهم ميزة طبيعية لمدينة الجزائر هي ثروتها المائية الضخمة وبساتينها الخضراء المزروعة على مساحات شاسعة وهذا حسب رأي معظم الحالة الأجانب. [2]

ايضا قام الرحالة الالماني ج او هابنسترايت في رحلته[3] بمدح مدينة الجزائر (مدينة الفحوص)، بأنها ذات فحوص تضاريس جبلية ولها مناظر تدخل البهجة والسرور على النفس، تتخللها اودية رطبة تتميز بخصوبتها ، تشاهد فيها الكثير من الحدائق ، بها اشجار العنب والبرتقال واللوز وغيرها من الأشجار المثمرة والغير مثمرة مثل : السرو ولهذا تميزت بكثرة الاشجار الغير منتجة، فهذه الصفات والخصائص جعلت الجزائر ذات موقع استراتيجي هام حسب حديث اغلب الرحالة الاجانب.[4]

وان الجزائر تضم شمالا سلاسل جبلية من الحدود الى الحدود موجهة غرب شمال غرب وشرق شمال شرق، وهي سلاسل منطوية احيانا (تل داخلي وتل خارجي).[5]

---

[1]– العربي ايشبودان: **مدينة الجزائر تاريخ عاصمة**، تر: جناح مسعود وحاج مسعود مسعود، دار القصبة ، الجزائر، (د–ط)، 2007، ص55.

[2] – ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية(دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 2000م،ص–ص، 396–398.

[3] – أنظر الملحق رقم05.

[4]– **المصدر السابق**، ص 50.

[5]– خالد جوادي: **مشروع مخطط وقائي لابراج المراقبة ساحل تلمسان**، مذكرة لنيل شهادة ماستر في علم اثار وقائي، قسم: العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة:ابو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2015/2014، ص 27.

ايضا اكد على هذه الخصائص حديث الاسرى الامريكان ومن بينهم ايمانويل دارنارد[1]حيث قال: " تقع مدينة الجزائر بين درجتي 32 و37 شمالا خط العرض ، الذي يوافق خط الولايات المتحدة قرب الحدود الجنوبية لفرجينيا نحو قرب نهر Savannah في جورجيا، ويمتد على 76 و84،20 دقيقة شرقا خط العرض من فيلاديفيا، ويمتد على 480ميلا طولا من الشرق الى الغرب على طول الساحل الشمالي لافريقيا ، و320ميلا اتساعا نحو الجنوب تحيطها من الشمال البحر المتوسط ومملكة تونس نحو الشرق، وسلسلة جبال الاطلس في الجنوب، وبوادي ملوية الذي يفصلها عن المملكة المغربية غربا، وعلى مسافة 120ميلا من ساحل البحر، ذلك الجزء الافريقي الذي يصبح صحراء قاحلة وغير مأهول بشريا أو حيوانيا.[2]

تحدث بعض الفرنسيين ومن بينهم دوماس، زاكون، جان هوريبال[3] عن مدينة الجزائر وذلك عند وصولهم الى اقصى حدود الاراضي الخصبة فقالو عنها: " انها ذات مناطق شاسعة ولها أراضي خصبة من الغرب الى الشرق مراكز سيدو، السعيدة، فرندة، تيارت، بوغار، بوسعادة، المسيلة، بسكرة، تبسة، وكذلك قاموا بوصف كثرة الرمال والكثبان الرملية التي ادهشهم منظرها حيث أنهم كلما تقدموا في سهولها ازدادت حدودها ابتعادا مدن وقرى في كل مكان ، وخيام في كل مكان.[4]

ومن بين المدن التي تحدث عنها الرحالة ، مدينة قسنطينة فتحدثوا عن موقعها الجغرافي فقيل عنها: تقع على صخر شاسع بعض قممه المرتفعة تمتد الى داخل المدينة، وهذا الجبل

---

[1] – كان اسير في الجزائر مدة عامين، امريكي الأصل عرف بدهائه وفطنته ، للمزيد انظر : جيمس ولسن ستيفن: **الأسرى الأمريكان في الجزائر 1785-1798** ، تر: علي تابليت، دار ثالة ، الجزائر، (د-ط)، 2007، ص 313.

[2] – نفسه: ص 141.

[3] – هو كاتب الكاردينال لافيجري ، زار بسكرة ووادي سوف ووادي ريغ وكان ذلك في موسم الشتاء ، اخذ خلالها نظرة على جغرافية المنطقة ، للمزيد انظر: وهيبة كنيوة: **نظرة الرحالة والمستكشفين الفرنسين لمجتمع الجنوب الشرقي الجزائري** ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، قسم: العلوم الانسانية، كلية : العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة: الشهيد حمه لخضر، الوادي، الجزائر، 2016/2015، ص12.

[4] – عبد القادر ميهي: **الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسين الأوائل ودراساتهم** ، مطلعة مزوار، الجزائر، ط1، 2015، ص15.

الصخري يستحم من الناحية الشرقية بمياه وادي الرمال [1]في حين ينفصل من الناحية الغربية باليابسة واعلى نقطة ارتفاع بالمدينة تبلغ 1400م على مستور سطح البحر واسفل القصبة من الجهة الغربية، وتنحدر التربة نحو الشرق لتلتقي من الجهة الجنوبية بسلسلة جبال شطاية.[2]

ايضا تحدث الاسير ميغل دي سيرفانتس سافيدار[3]عن احدى المدن الجزائرية اي عن موقعها وهي مدينة وهران فقال: " هي مدينة لها مناظرها الخلابة وبساتينها واشجارها زادت من جمالها مما ترك له انطباعات بقت راسخة في ذاكرته.[4]

وبعد الحديث عن مدينة وهران انتقلنا الى الحديث عن بلدية كوينين التابعة الى مدينة وادي سوف، وقد وصفها بعض الرحالة الاجانب خلال رحلتهم عبر مختلف المناطق الجزائرية وقيل عنها: أنها من واحات وادي سوف، تقع واحات واد سوف على بعد مائة كيلومتر الى الشرق من وادي ريغ[5]، حيث أن واحات وادي سوف تقع على خط موازي وتمتد من شط ملغيغ الى واد سوف [6]

وتناول بوتان[7]في مشروعه " مساحة المملكة الجزائرية وتقسيمها الاداري" ، فالجزائر بالنسبة لبوتان " مملكة " وهي تمتد على طول البحر الابيض المتوسط من واد زيان الى واد ملوية، تحيطها شرقا منطقة كاف وطبرقة ، وغربا تاوونت وندرومة التي تبعد عن تلمسان غربا

---

[1] – أنظر الملحق رقم 06.

[2]– عبد الحفيظ بورايو وعبد الله حمادي: **المرجع السابق**، ص 138.

[3]– ولد في قلعة هيناريس المدينة الواقعة شمال شرقي مدريد، في نهاية سبتمبر وبداية اكتوبر1547م في عائلة فقيرة كانت نشأته ، وتتألف عائلته من اب حراح وتوفي ميغل سنة 1616م ، للمزيد انظر: محمد عبد الكريم اوزغلة : **شهادات الاسر ومشاهد الكتابة– ميغل دي سيرفانتس في الجزائر 1575–1580** ، دار القصبة، الجزائر، (د–ط)، 2012، ص 17.

[4] – نفسه: ص 134.

[5]– هذه المنطقة التي تنتشر فيها بربرية ريغة، وهي تقع جنوب الزاب(بسكرة) وغرب وادي سوف وشرق وادي ميزاب، وتتلاشى حتى تندرج في الصحراء ، للمزيد انظر: محمد الحاكم بن عون: **اخبار وايام وادي ريغ للشيخ الطاهر بن دومة**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص: علم المخطوط العربي، قسم، التاريخ والآثار، كلية، العلوم الانسانية والاجتماعية، ج: منتوري قسنطينة، الجزائر، 2011/2010، ص 5.

[6]– عبد الحفيظ بورايوو عبد الله حمادي: **المرجع السابق**، ص 26.

[7]– ولد فانسون ايفيس بوتان في 1 جانفي 1772م في قرية تدى لورو وهو الابن الرابع لايفيس ، وكان جندي حاذقا متبصرا محب للمغامرات، للمزيد انظر: فريد بنور: **المرجع السابق** ، ص 315.

بعشرة فراسخ، وجنوبا الصحراء او الرمال ومازالت هذه المنطقة الاخيرة (الصحراء) مجهولة ويبلغ طول البلاد حوالي 250فرسخا، اما عرضها فيختلف من جهة اخرى اي بين50,70,80,90 فرسخا.[1]

ولقد اكتفى دوفال[2] فيما يخص الوصف الطوبوغرافي بالقول:" ان مدينة الجزائر بنيت فوق تل شديد الانحدار، ولها شكل مثلث ذي قاعدة ممدودة من الناحية البحرية ويتبين هذا الوصف من خلال مشروعه الذي انجزه عندما كان قنصلا في الجزائر.[3]

ايضا نجد ان وليام شالر[4] تحدث عن حدود وامتداد مملكة الجزائر والمظهر العام للبلد والجبال والمناخ ، والتربة والانهار والشواطئ وكان حديثه عن الحدود كما تحدث عنها غيره من الرحالة السابقون له، فقد ذكر لنا نفس الحدود بداية من جهة الغرب نجد المغرب الأقصى، ومن جهة الشمال نجد البحر المتوسط ، ومن جهة الشرق نجد الاراضي التونسية ومن الجنوب نجد الصحراء الكبرى والحدود الغربية لهذه المملكة.[5]

بالإضافة الى مقاطعة الجزائر كذلك نجد ان بوتان تحدث عن مقاطعة الجزائر وقال :" انها تنقسم الى ثلاثة بايلكات من الشرق الى الغرب، نجد اولا بايلك قسنطينة يحدها من الشرق تونس ومن الشمال البحر، ومن الغرب مقاطعة الجزائر على مسافة مسيرة يوم، اما التيطري فهو اصغر بايلك يبلغ طوله حوالي من 15 الى 20 فرسخا يحده جنوبا جبال الاطلس وغربا دومان الاغا، وشرقا قسنطينة، وأخيرا بايلك وهران التي يحدها من الشرق مدينة مليانة

---

[1]– فريد بنور: **المرجع السابق** ، ص 406.

[2]– ولد بيار دوفال سنة 1760م في الشرق وهو ابن لمترجم فرنسي اسمه بيار فليبير، ولقد مارس بيار دوفال النشاط الدبلوماسي في وقت مبكر وكان قنصل في الجزائر، للمزيد انظر: نفسه، ص 467.

[3]– نفسه، ص 468

[4]– هو قنصل امريكي كان بالجزائر، سياسي، مفكر أمريكي مشهور ولد 1778م بولاية كونيكت، انخرط في بحرية الولايات المتحدة برتبة ضابط 1803–1808م للمزيد أنظر: التعريف بالقنصل شالر وبكتابه عن الجزائر، موسوعة أبليتونAppletons وموقع مشاهير أمريكا، 2014/5/4، ساعة،12:45.

[5] – وليام شالر: **مذكرات وليام شالر قنصل امريكا في الجزائر 1816–1824**، تع: اسماعيل العربي، الشركة الوطنية، (د–ط)، 1982، ص 27

ومن الجنوب الاطلس، ومن الغرب ارشغون ويبلغ عرض واد ارشغون ما بين 100الى140م ويمكن عبوره بدون جسر وهو غير صالح للملاحة.[1]

كما تحدث الرحالة شوShow[2]باعتباره ان لديه المعرفة الكاملة عن الجانب الجغرافي اكثر من اي جغرافي آخر، حيث يعتقد أن عرض المملكة في اتجاه تلمسان لا يتجاوز اربعين ميلا، ومن مدينة الجزائر لا يتجاوز ستون ميلا، وان متوسط ستين ميلا يمثل عرض، والمملكة انطلاقا من البحر الابيض حتى الصحراء، وهذا الامتداد يمثل ما يسميه العرب (التل) او الاراضي القابلة للزراعة التي لا تقطعها الصحراء ومع ذلك يمكننا ان نلاحظ ان الحدود الصحراوية لا تتجه في خط مستقيم، حيث ان هذه الحدود التي تتخللها جبال وسهول خصبة و هي التي تسمى على الخرائط الافريقية ببلاد الجريد، وهي الاراضي التي يحيط بها الغموض ولا يمكن الحديث عنها قبل ان تستكشف بصورة افضل.[3]

وقال تيدنا ان الجزائر مدينة عظيمة بحرية وبايلك قسنطينة في الشرق و بايلك التيطري في الجنوب ويقصد بها(الجنوب) هو الوسط، لأن القطر الجزائري في الجنوب من الصحراء حيث لم تكن الحدود واضحة انذاك، واخيرا بايلك معسكر في الغرب، واكد ان الجزائر كبيرة المساحة ولها اراضي واسعة.[4]

اما هولان[5] فكان حديثه فيما يخص مدينة الجزائر عن المناخ فقال : أن مناخ الايالة " ايالة الجزائر" اجمل مناخ في العالم ونجد به تربة خصبة وأراضي زراعية شاسعة وكبيرة المساحة لذلك فقد اشاد في مدحها.

---

[1]– فريد بنور: **المرجع السابق** ، ص 407

[2]– دكتور انجليزي ولد 1692م ، قام برحلة الى الجزائر 1720–1730 وزار خلالها تونس، ودون ملاحظاته في كتاب ترجم الى العربية ، للمزيد انظر: عثمان حساني: **البيئة الاجتماعية والاقتصادية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الاجانب في القرنين الثامن والتاسع عشر** ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث، جامعة: الجزائر، 2006، ص 30.

[3]– نفسه، ص31.

[4]– فريد بنور: **المرجع السابق**، ص 301.

[5] – هو مبعوث فرنسي وصل الى الجزائر في 22 جويلية 1802 ، للمزيد انظر: نفسه، ص 288.

كذلك اعطى لنا جون بون سانت اندري[1] معلومات توبوغرافية عن الجزائر قائلا: فمدينة الجزائر تجدها في منطقة مرتفعة عموما، جهتها الغربية غير مستوية وتستند بسفوح جبالها الى البحر، واما من الجهة الشرقية فيوجد سهل نصف دائري مطوق بربوة قليلة الارتفاع، لكنها تنخفض شرقا لتنتهي عند واد الحراش، وفي وراء الواد من الناحية الجنوبية والشمالية فرعا من جبال الأطلس حيث تنخفض قمته بالقرب من الشاطئ وراء رأس ماتيفو، وفي الجنوب والجنوب الغربي للمدينة فان الارض غير مستوية على العموم، وتتخللها أودية صغيرة، وبالتوجه نحو البليدة جنوبا نجد طريقا سالكا يمر بأسفل قلعة مولاي حسن لكي يمتد بعد ذلك ويجتاز هضبة مستوية نوعا ما تؤدي الى المناطق الداخلية حيث السهول، لكنها ليست مزروعة وان الطرق في ضواحي المدينة عبارة عن دروب ضيقة محاطة بحواجز من الاشجار الكثيفة والتي تمثل في حد ذاتها سياجات طبيعية .[2]

ومن جهة اخرى وصف الرحالة الفرنسيون الصحراء الجزائرية باعتبارها اقليم هام في مدينة الجزائر اوصافا مختلفة، فمثلا ريني بوتيي قال: ان الصحراء الجزائرية كما يطلق عليها اداريا بالإقليم الجنوبي وهو لفظ يطلق على منطقة شاسعة وهي جغرافية المنطقة المتصحرة ولها حدودها الطبيعية من الاطلنطي غربا دعامة الاطلس والبحر الابيض المتوسط في الشمال، والبحر الاحمر في الشرق، فالصحراء الجزائرية ليست تلك المنطقة المتصحرة التي تستحيل فيها الحياة الا على لبدو الرحل، وهي ليست بلاد محدبة ولكنها بلاد جافة انعدمت فيها النباتات.[3]

---

[1]– ولد جون بون سانت اندري في 25 فيفري 1749م بمدينة مونتوبون الواقعة بمقاطعة البيريني جنوب فرنسا، تلقى في صغره تربية دينية، فأصبح راهبا بروتستانيا وكان قنصل في الجزائر، للمزيد انظر: فريد بنور: **المرجع السابق**، ص 220.

[2]– نفسه، ص 246.

[3]– احسن دواس: **صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين– مقاربة سيسيو ثقافية** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الادب المقارب ، قسم : الآداب واللغات، جامعة: منتوري قسنطينة، الجزائر 2008/2007، ص–ص ، 13–14.

المطلب الثاني: الجانب العمراني.

يجمع أغلب الرحالة الاجانب أن مدينة الجزائر اسوارها شامخة، طولها كيلومترات ونصف تقريبا وعلوها عشرة الى اثنتي عشرة (10-12) مترا وعرضها مترا، وفي البروج والاسوار والنوافذ معلقة لاتساع بعضها وبعضها واسعة خصوصا المشرفة على تلقي طلقات المدافع والبندقيات.

وفي هذا الصدد يقول جورج مارسي : " ان اول ما يلفت انتباه المسافر عندما يحل بارض الجزائر في عهد الاتراك هو امتيازها بالنقش والزخرفة وضروب الابداع الفني، وتمثل المساجد والزوايا جزءا من هذا الفن المعماري.[1]

فيما يخص المنجزات التي تخص مدينة الجزائر، فبمجرد اقامة السلطة الجديدة (الحكم التركي)أصبحت عاصمة وعرفت تحولات هامة في مجال البناء، حيث جعلت منها مدينة مشهورة وحصنا منيعا .

وابتداء من السنة الاولى لإقامة الاتراك شرع هؤلاء في بناء قلعة جديدة وهي القصبة، ثم تم تشيد الأسوار الجديدة بهدف حماية السكان، وهكذا أقام الاتراك دولة وهذا بعد تدمير الحصن 1529م، واستخدم جزء من مواده للربط بين طرفي المرسى.[2]

وقد تحدث مورقان على شكل المدينة بداية القرن السادس عشر ميلادي (16م) فقال: فأسوارها ظلت كما كانت عليه خلال القرن الخامس عشر (15م) ولكن اضيفت لها تحصينات جديدة، وهذه المدينة تقع على خليج واسع وقد بني جزء منه على اراضي منبسطة تنتهي بالبحر عند سفح الجبل أما الجزء الآخر فمبني على منحدر يبتدئ حيث ينتهي الأول يمتد على 21°و 20دقيقة طولا و30دقيقة عرضا.[3]

---

[1]- فوزية ذلوخة: **مدينة الجزائر ووصفها من خلال الرحالة الغربين (1750-1850)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث ، جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر، 2013/2012، ص 43.

[2]- العربي ايشبودان: **المرجع السابق**، ص 29.

[3] - عبد الرحمان الجيلالي: **المرجع السابق**، ص 284.

وقد تزايدت عملية البناء مع ازدياد عدد السكان خلال الفترة التركية، وقد بلغ هذا التزايد الى درجة ان البنايات احتلت جميع الفضاءات الحرة وكانت عملية البناء تتم على الطرقات التي تحولت الى ممرات عديدة وشوارع مسقوفة، فكانت هناك عمليات بناء افقية لبيوت من ثلاث طوابق في الحالات العديدة، وقد وصف الرحالة والتجار وحتى الدبلوماسيين هذه المدينة وصف المغرم المولع، بعبارات وحساسيات مختلفة وتم الاجماع على كيل عبارات الاعجاب والمدح والجمال، وقد اقتدحت مدارج مدينة الجزائر صور متنوعة على عقول الذين وصفوها وتحدثوا عنها، وتم مقارنة جزائر الاتراك ببرنوس ابيض منشور في الطبيعة وبثوب الراهب هو قلعة القصبة، فوصفها مارسيه بأنها مدينة تتسلق المنحدر نحو الساحل وهي اكبر سفينة بلا شراع...وسلم للعمالقة، وانها منجم رخام ناصع البياض وانها مدينة الثلج تحت الضوء الباهر فهي كمثلث ناصع البياض وهي قلعة قائمة من حيث مظهرها وهي مبنية على هضبة وهكذا ابحر الرحالة في وصفها .[1]

وكان للمدينة خمسة أبواب حسب تقارير الرحالة الاجانب وهي : باب عزون، باب الوادي، باب الجهاد الواقع جنوب غربي المدينة وهو اعلاها ، وتغلق الأبواب الخمسة من غروب الشمس الى شروقها، أما طرق المدينة كانت ضيقة جدا وسقوف المنازل متقاربة الى حد يمنع الشمس من دخول بعضها، ويمكن اقامة اتصالات بين مختلف احياء المدينة بواسطة المنازل حيث انها متقاربة[2]

اما الرحالة" ليسبي Lespes" فلم يتأخر في الثناء على المنازل الموريسكية بالجزائر معبرا عن اسفه لتعارض بياض مساكن القصبة مع اللون الرمادي للأحياء الاوروبية التي تحتوي عليه اليوم، ويتكون مسكن الجزائر التركية من اثنين الى ثلاث مستويات، اذ نجد عند المدخل (السقيفة) المبنية بحجر الرخام وهي عبارة عن قاعة انتظار للزوار، وتطل هذه الغرفة

[1]– العربي ايشبودان : **المرجع السابق**، ص –ص ،45–54.

[2]– فوزية ذلوخة: **المرجع السابق**، ص 43.

على الفناء الداخلي " وسط الدار " محاطة بأعمدة وذات شرفة مقوسة، وتوجد هناك قاعة للاستقبال وقاعة للأكل وقاعة للمؤونة.

وان الطابقين الاول والثاني عبارة عن نسخة مكررة من الطابق الارضي، وبهما غرف من الجوانب الثلاثة للسكن ولهذه الغرف اسماء خاصة، في الطابق الارضي " بيوت" ، وفي الطابق الأول " غرفة " وفي الطابق الثاني " منزه "، و يغطي المسكن شرفة السطح، وهو فضاء يطل على خليج الجزائر، ويخصص للعنصر النسوي وهذا البناء دليل على تنظيم عمراني صارم. [1]

اما العالم الالماني ج او هابنسترايت فقد أعطى لنا وصفا حقيقيا لمدينة الجزائر فقال: " بنيت مدينة الجزائر على منحدر جبلي وهذا جعل أزقتها متدرجة يعلو بعضها البعض مثل مدرجات مسرح روماني، وهذا التدرج في ازقتها مع البياض الناصع لمنازلها ذات السطوح المشرفة على البحر هو الذي اكسبها منظر جميل متميز جدا.

اما الميناء حسب راي العالم الالماني ج أو هابنسترايت فهو متكون من قلعة حصينة جدا تعرف ببرج الفنار، ومن رصيف مبني بالحجارة يربط البرج بالمدينة، و بالإضافة الى برج الفنار توجد أبراج أخرى تدافع عن مدينة الجزائر فهناك برج في الطرف الاعلى من المدينة يعرف بحصن الامبراطور، اضافة الى ذلك يوجد برجين اخرين يمكن مهاجمة الميناء منهما، كما يوجد على شاطئ البحر بين مدينة الجزائر وراس ماتيفو ثلاثة حصون صغيرة مزودة بالمدفعية ومن جهة البر توجد أربعة حصون، وهي حصن الامبراطور والبرج الجديد وبرج باب عزون وبرج باب الوادي وكلها متقنة البناء والمدينة في حد ذاتها تعتبر محصنة جدا نظرا للأسوار والخنادق التي تحيط بها، أما ازقتها فهي غير مستقيمة وضيقة ووسخة ويصعب السير فيها بسبب كثرة المارة.[2]

[1]– العربي ايشبودان: **المرجع السابق**، ص 66.

[2]– **المصدر السابق**، ص36.

وقد شهدت الجزائر خلال الفترة العثمانية تطورا ملحوظا في مجالها العمراني فاشتهر بها العمران، وكثرت بها المؤسسات المدنية، فقد امتد البناء من الميناء الى اعلى التل وكان يعمل فيه مهنيون وعمال موريسكيون[1] الى جانب اسرى مسيحيون تحت اشراف تركي، وان هذا التطور الناجح لهذا التنظيم جعل مدينة الجزائر اكثر مدن الشمال الافريقي من حيث الطابع التركي على غرار القسطنطينية في الطراز، وفي بناياتها وفي العمارات والحصون والقلاع والابراج[2] ويضاف الى ذلك فان البنية العسكرية للمدينة اكدت للأوروبيين اكثر من اي عنصر الاسطورة حول الجزائر تلك التي لا يمكن اختراقها.[3]

وايضا تحدث مورقان عن القلعة التي بناها حسن باشا 1550م وقال فيها : قلعة عظيمة بنيت في المكان الذي نصب فيه شارل الخامس خيمته عام 1541م، وهي قلعة عظيمة البنيان وبني بجانبها ما يشبه المستشفى، لمداواة الجرحى وكذلك اشتهر هذا الاخير بدقة البناء اضافة الى ذلك بنى حماما عاما، وبعد ذلك بنيت الأبراج وبعض القلاع ذات الطراز العالي وقد عرفت هذه الفترة اي القرن 16م بكثرة التحصينات وبناء القلاع والابراج خاصة مدينة الساحل.[4]

كذلك تحدث سيمون بفايفر عن مباني مدينة الجزائر فقال: تنتصب الدور العالية ذات السقوف المسطحة الى جانب بعضها البعض، وكلها مبيضة بالكلس وصفوف السطوح ترتفع فوق بعضها البعض، و تتخللها القباب والمنارات والقصور وتتميز المساجد ببنائها المتقن وألوانها البهية الجميلة، كذلك لا ننسى قصر الداي فكان مظهره يدهش الناظر فحقا كان المنظر ساحرا وبديعا.[5]

---

[1]– هم سكان المدينة من اصول قديمة او المنحدرون من الاندلس و الثغريون المطرودين من اسبانيا ، للمزيد انظر: العربي ايشبودان: **المرجع السابق**، ص 50 .

[2] – أنظر الملحق رقم 07.

[3]– وليام سبنسر : **الجزائر في عهد رياس البحر**، تع: عبد القادر زبادية ، منتدى سور الازبكية ، دار القصبة، الجزائر، (د–ط)، 2006، ص 50.

[4]– عبد الرحمان الجيلالي: **المرجع السابق** ، ص 284.

[5]– **المصدر السابق**، ص 13.

فقام كل من هايدو[1] ونيكولاي بوصف مدينة الجزائر بأنها تشبه البيضة من حيث امتلاؤها بالبيوت والناس، وتوجد وراء البلاط الملكي بيوت رائعة وحمامات متعددة فقد انتظمت بشكل جيد، اضافة الى ذلك نجد الجوامع التي بناها اشطر المهندسين، فهكذا مدينة الجزائر قد انتظمت سكناتها انتظاما عظيما وجميلا، وقد لاحظ الرحالة قرماي عن مدينة الجزائر في القرن السابع عشر 17م أن البلاط الملكي وبيوت الرجال كان لها فناءات واسعة، توجد حواليها بيوت عديدة وكان هناك سبع مساجد كبيرة وخمس مواقع للانكشاريين[2]

حيث سكن600 نسمة من بينهم مع بعضهم البعض في بيت واحد، وبها مستشفى بناه حسن باشا وخمس مغاسل كبيرة، وكانت تستعمل كمساكن للعبيد والأسرى.

وإن المظهر العمراني لمدينة الجزائر بهر الأوروبيين، حيث كان يتمثل في ضيق الشوارع وقد وصفها هايدو فقال: أن الشوارع بمدينة الجزائر قد التصق بعضها بالآخر، مما جعلها ترى كفروع لشجرة الصنوبر وكانت شديدة الضيق لدرجة ان الرجل على صهوة حصان قد يمر خلالها وحده، في حين ان اثنين من المارة لا يستطيعان المشي في مستوى واحد، لكن المنازل كانت منتظمة لكن هي الأخرى ضيقة حالها حال العمارات المحاذية لها، والتي كانت منحدرة نحو الداخل، أما السطوح فقد التصقت هي الاخرى من الأعلى لتحجب ضوء الشمس وقد بنيت المنازل في الجزائر وفق تخطيط موحد ثابت، فكانت تتكون من برج مربع مع المجموعة المناسبة من الحجرات حول الجوانب الاربعة، وقد اختلفت المنازل في الجزائر في الحجم فقط وكان لها نوافذ.[3]

---

[1] – هو راهب، وقع اسير بمدينة الجزائر بين عامي 1578م–1581م، وكان ملاحظا ذكيا يعتبر عمله اساس لكل الكتابات الغربية اللاحقة عن الجزائر، للمزيد انظر: محمد عائشة : **الاسرى الأوروبيون في مدينة الجزائر ودورهم في العلاقات بين الجزائر ودول الحوض الغربي المتوسط خلال القرنين السادس والسابع عشر** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، قسم: التاريخ، المركز الجامعي بغرداية، الجزائر،2012/2011، ص137.

[2]– وليام سبنسر : **المرجع السابق**، ص 55.

[3]– نفسه، ص ص، 58–60.

وكذلك وصف لنا القنصل الفرنسي جون بون سانت اندري تحصينات مدينة الجزائر فقال عنها: أنها مليئة بالأبراج برا وبحرا، فهي حقيقة منيعة وتحصيناتها دقيقة البناء وان الساحل مزروع بالقلاع والحصون بأعداد هائلة، غير أنها ليست مرعبة في حد ذاتها وهذا بسبب عدم وجود الانسجام فيما بينها أثناء رد الهجوم واما بسهولة الاستلاء عليها من الخلف.[1]

تحدث ايضا عن اهم الأبراج المنتشرة وهي برج السفيد الذي بني بالحامة سنة1661م، في المنطقة التي تعودت الحملات الاسبانية النزول فيها، لمواجهة المدينة من الشرق وبرج القنطرة او برج الآغا الذي بني 1736م على ربوة فوق مصب وادي الحراش.[2]

وهذا البرج هو الذي يشرف على الطرق الرئيسية القادمة من الشرق نحو مدينة الجزائر واخيرا نذكر البرج البحري وكانت هذه الابراج ذات بناء محكم وتميزت بدقة الطراز.[3]

كذلك كان حديث الرحالة جون بون سانت اندري عن الحصون في مدينة الجزائر فقال: هي حصون محكمة البناء مثل حصن تمانتفوست، وكان الهدف من بناء هذه الحصون هو الدفاع عن المنطقة، وحسب رأيه فإن التحصينات الوحيدة القادرة على صد أي هجوم هي الأبراج البحرية والتي اسماها "حصون الترسانة"، وحدد موقعها بأسفل الباب المطلة على البحر،[4]ولقد سخت الطبيعة بجزيرة صغيرة وقام الاتراك بإيصالها بالبر عن طريق بناء سد من الحجارة الكبيرة وكان من الضروري إصلاحه كل سنة، وهذه الابراج البحرية من الشرق الى الغرب هي: برج القمان، برج السردين، برج الجديد، برج راس اعمر، وهي من اقوى الحصون لما فيها من اسوار متينة ومدافع ثقيلة وخفيفة وفتحات وهي عديدة، اذ بها 170فتحة للمدفع

---

[1]– فريد بنور: **المرجع السابق**، ص 229.

[2]– حليمي عبد القادر علي: **مدينة الجزائر نشأتها تطورها قبل 1830**، دار الفكر الاسلامي، الجزائر ، ط1، 1792، ص 242.

[3]–انفسه، ص 244.

[4]– لهذا الباب عدة اسماء ، منها باب البحرية ويسميها السكان باب الجزيرة وباب الجهاد، لأنها كانت مخصصة لدخول وخروج رياس البحر، للمزيد انظر: Piesse (L):L'odyesséeou diversité d'avanentures, rencontre et voyage en europe , asie et Afrique ,divisée en quatre partiés : par le sieur du CHastelet des boys , in revue africane n° 62,1866, pp, 164-165

ويقول أيضا أن التحصينات منعدمة في الجهة المقابلة للبر، بحيث لا توجد سوى مواقع طبيعية[1]

وقام وليام شالر بوصف منازل مدينة الجزائر وقال عنها: هي منازل مخططة مبنية على نفس الطراز، ووصف المنزل الذي يسكنه شخصيا وسيعطي لنا فكرة عن جميع المنازل التي لا تختلف عن بعضها إلا في الحجم، وهذا المنزل مربع يبلغ 64 قدما من كل واجهة وارتفاعه 42 قدما وثلثه عبارة عن الطابق حيث توجد المخازن والصهاريج، وبقية البناية أي 28قدما هي عبارة عن طابقين يقعان في شكل دائري جول حوش مفروش بالمرمر وسعته 30قدما مربعا يغطيها، وهو مفتوح وسعته6 أقدام ويقوم كل طابق على 12 عمودا من المرمر الايطالي، وكل واحد من الاعمدة يكون سند ل12 قوس، ومن جهة البحر بهو آخر مقسم إلى عدة شقق صغيرة.[2]

فتنقسم مدينة الجزائر حسب رأي الأسرى الأمريكان إلى مقاطعات ودوائر، أي شرقية وغربية شمالية وجنوبية، وتضم مدن عنابة، قسنطينة، جيجل، بجاية، بسكرة، زمورة، ...الخ، وكانت تتخلل هذه المدن منازل امتازت بمهارة بناؤها وبياضها الناصع.[3]

وفي جميع المنازل في الجزائر توجد شقة صغيرة، توضع عند الباب الخارجي وفي هذه الشقة يستقبل رب البيت الزوار، وهذه الشقة هي فسيحة وفاخرة تسمى " السقيفة " والحيطان الخارجية لجميع البيوت الجزائرية يكون طلائها بالجبس، الأمر الذي يجعل المدينة تبدو من بعيد في مظهر أنيق، فالجزائريون عموما عرفوا بمنازلهم الجميلة.[4]

كذلك قام الأسرى الامريكان بوصف سور المدينة وسجونها فبداية الحديث كانت سور المدينة فقيل عنه: أن المدينة محاطة بسور محكم البناء ومحصنة بأبراج وقلاع محاطة بها

---

[1]– فريد بنور: **المرجع السابق**، ص 232.

[2]– **المصدر السابق**، ص 96.

[3]– جيمس ولسن ستيفن: **المرجع السابق**، ص 142.

[4]– وليام شالر: **المصدر السابق**، ص 96.

فالجزء السفلي من السور نحت من الحجر بسمك 12قدم و30قدم من العلو، ومن الجانب البري 40قدما نحو البحر ويضم العديد من المنازل.

بعد حديث الاسرى عن سور المدينة انتقلوا الى الحديث عن السجون، فقالوا: هناك اثنين من السجون بنيا من الحجر حيث يقيم العبيد، ويطلق على احدهما سجن البايلك والآخر سجن قلارو الجزافين، وتستخدم الغرف الواقعة في الأسفل لهذين السجنين كحانات، والتي يقوم العبيد بتسييرها، وتتسع كل غرفة من هذه الغرف لإيواء اثني عشرة من العبيد، وتتشكل النوافذ من قضبان حديدية مقوسة ذات ثلاثة أو أربعة أنش، لكن بدون الواح زجاجية فالسجن اذن حسب رأيهم هو بناية شاسعة جدا، وقد تميزت في تلك الفترة بدقة البناء وعرفت بطرازها العالي وهذا الطراز مأخوذ عن طراز القسطنطينية.[1]

وفي مقابل ذلك تحدث الرحالة الفرنسيون عن مناطق الجنوب الجزائري وأخصوا بحديثهم الجانب العمراني، فقالوا: أن منازل مناطق الجنوب الجزائري كلها ذات طابق أرضي، وكل المنازل مبنية بالجبس والحجارة وذات أسقف مسطحة والشوارع مستقيمة ويزيد عرضها عن مترين .[2]

ونجد في مدينة الجزائر المنازل البيضاء وعند الاقتراب منها تبدو وكأنها المكان الذي يبيض فيه الكتان، فالسطوح مستوية، مما يمكن الناس من زيارة بعضهم البعض على مسافة قصيرة وبدون النزول إلى الشوارع، وترمم هذه المنازل بنوع من القرميد أو الآجر ويقام سور القرميد من حيث العلو حتى الصدر وذلك بهدف منع الأشخاص من السقوط، وفضلا عن ذلك تقام منازل صيفية وهنا لا تحجب أي دار أخرى عن رؤية البحر نظرا لهندستها، وغالبا ما تكون المنازل مكونة من ثلاث طوابق وهذا ما أكد علية حديث الأسرى الأمريكان أثناء فترة أسرهم في مدينة الجزائر، واتضح هذا من خلال تقاريرهم ومذكراتهم التي كتبوها بعد فك أسرهم.

[1]– جيمس ولسن ستيفن: **المرجع السابق**، ص–ص 215–216.

[2] – عبد القادر ميهي: **المرجع السابق**، ص 228.

ايضا نجد أن الرحالة الأجانب عموما قاموا بوصف البنايات العمرانية من بينها المساجد فقالوا: هناك عشرة مساجد كبيرة وخمسون مسجدا صغيرا، وبدأ بناء المسجد الجديد للداي سنة 1790م، ولكل مسجد ثلاثة طوابق عالية تدعمها أعمدة من الرخام الأبيض مستوردة من جنوة والجدران من حجر أبيض، ويوجد بجانب الجامع برج قطاع الرؤوس وكذلك اشتهر هذا الاخير ببنائه المحكم. [1]

اشتهرت مدينة الجزائر حسب حديث كل من نيكولاي نيكولاس[2]ووليام دافيس[3]بازدهار البناء خلال العهد العثماني، فاشتهر العمران وكثرت المؤسسات المدنية ولقد بنيت مدينة الجزائر العثمانية على شكل مثلث قمته القصبة ومن هناك تنحدر رويدا نحو البحر، حتى تصل إلى شارع عبور وهذا الشارع تتداخل فيه الممرات وتتكاثر فيه المقاهي والدكاكين وكانت هناك ثلاثة أبواب رئيسية للمدينة، ومن المستوى الأرضي فهي عبارة عن مجموعة من البنيات البيضاء تعلو باتجاه السماء وتغطيها سقوف منبسطة تلتصق بها من الأعلى الفناءات التي تعطي الظل للجزائريين. [4]

اما بوتان فقد قام بوصف أول برج في شرق مدينة الجزائر حيث قال: أنه مثمن الزوايا وأضلاعه متساوية تقريبا، في كل جانب من جوانبه الثمانية ثلاثة مدافع وثلاثة قطع من المدفعية، بعد ذلك نجد برج رأس ماتيفو وبرج الكيفان حيث نجد أن شكله غير منتظم وهو أصغر من الأول حسب حديث بوتان، أما المدينة ذاتها فإن حزامها الدفاعي يتكون من سور مبني حسب النمط القديم ويبلغ ارتفاعه من 11 إلى13 مترا مزودة بأبراج مربعة الشكل. [5]

---

[1] –جيمس ولسن ستيفن: **المرجع السابق**، ص ص 211 –213.

[2]– هو قنصل فرنسي كان في مهمة رسمية من طرف البلاط الفرنسي إلى الباب اعالي، للمزيد أنظر: وليام سبنسر: **المرجع السابق**، ص 51.

[3]– هو طبيب وحلاق وأسير، أسر في الجزائر عام 1597م، وهناك كتب مذكراته وسرد فيها احوال البلاد الجزائرية في ذلك الوقت ، للمزيد انظر: نفسه، ص52.

[4]– نفسه، ص52.

[5]– فريد بنور: **المرجع السابق**، ص 272.

كذلك قال بوتان عن مدينة الجزائر: أن اسوار مدينة الجزائر تشكل مضلعا رباعيا غير منتظم قد يطابق إلى حد كبير مثلث متساوي الأضلاع اذ يستند أحد أضلاعه إلى البحر.[1]

بعد حديث بوتان عن مدينة الجزائر وعمرانها، تحدث في المقابل العالم الألماني ج او هابنسترايت عن البلاد الجزائرية وأخص بحديثه مدينة قسنطينة حيث ابحر في الحديث عن جانبها العمراني، فقال: إن هذه المدينة من الآثار القديمة التي تشد الانتباه وتتمثل هذه الآثار في قنطرة رومانية وفي بعض حنايا المياه فهي بذلك رائعة المنظر، فالأثر الأول هو باب القنطرة،[2] ويعتبر أهم أثر روماني ظل سليما من التخريب في هذا البلد، وهذا راجع إلى دقة ومهارة البناة الذين شيدوا القنطرة الرائعة من أجل ايصال الماء إلى قسنطينة التي بنيت على صخرة قبالة جبل عال، ويبلغ ارتفاع هذه القنطرة على وادي الرمال مائة قدم يحيث يختفي الوادي تحت هذه القنطرة.[3]

ومدينة الجزائر تنقسم إلى أحياء منفصلة تغلق كل منها بعد صلاة المغرب مباشرة، أما الشوارع فتكون مفروشة بالحجر ولكنها ضيقة جدا وفي نفس الوقت لها منظر أنيق وهذا ما اكد عليه الرحالة الأجانب خلال رحلاتهم ونجد ذلك من خلال كتاباتهم.[4]

تحدث أيضا مرمول كربخال عن احدى المدن الجزائرية وأخص بحديثه مدينة تلمسان فقال: أن ساحتها وأزقتها انتظمت على نسق جميل جدا، وكانت دكاكينها كثيرة ومرتبة وبالمدينة عدد كبير من المساجد ذات البناء المحكم والطراز العالي وذات الموارد الضخمة علاوة على خمس مدارس رئيسية مزخرفة .[5]

من جهة أخرى تحدث هايدو أيضا مدينة الجزائر وأخص بحديثه هنا المقاهي والحوانيت فقال عنها: يوجد في الجزائر ما يقارب ألفي حانوت وهو ما يعكس ازدهار الحياة الفكرية في مدينة الجزائر وقد مدح البناء فقال كلها مبنية بأسلوب أنيق . [6]

---

[1]– فريد بنور: **المرجع السابق**، ص 357.

[2]– أنظر الملحق رقم 08.

[3]- **المصدر السابق**، ص 90.

[4]– وليام شالر: **المصدر السابق**، ص 32.

[5]– مرمول كاربخال: **إفريقيا**، ج2، تر: محمد جحي وآخرون، دار المعارف، الرباط، 1989، ص 298.

[6]– Hedo (FD): Topographie et histoire générale d'Alger traduction: de Monnerau et Berbrugger, in revue africaine,1872,P 56.

المبحث الثاني: الجانب السياسي والاقتصادي.

لم يكن التدخل العثماني في المغرب العربي أمرا متوقعا، ولم يكن يدور في أروقة الدولة العثمانية نفسها، ذلك الأمر فضلا على أن التدخل لم يكن نتيجة وتصميم عثمانيين، بل كان ذلك نتيجة للظروف السائدة في المغرب العربي بعد غزوات الإسبان المتكررة على سواحلها وظهور عروج للدفاع عنها وانقاض المسلمين، لكن نظرة الرحالة الأجانب كانت عكس ذلك رغم أن التدخل العثماني كان له الأثر البالغ في كلا الجانبين السياسي والاقتصادي لمدينة الجزائر ويتجلى ذلك من خلال .

المطلب الأول : الجانب السياسي.

تحدث وليام شالر على مملكة الجزائر حيث قال: أنها تنقسم من الناحية السياسية إلى ثلاث ولايات: وهران في الغرب والتيطري في الجنوب وقسنطينة في الشرق ، واما ولاية التيطري فيحدها من الناحية الغربية نهر مازفران، وقال شالر أيضا: ولكي نكون فكرة دقيقة عن النظام السائد هنا تقتضي الحاجة أن نعرض بعض الحقائق التي تتصل بغزو الأتراك للجزائر، ففي سنة 1516م كان ملك جزائري صغير يدعى تومي من الحماقة أنه استنجد بالأخوين عروج وخير الدين ضد الإسبان. [1]

فالوجود العثماني في الجزائر في نظر الكتابات الفرنسية كان بمثابة العامل الذي حال دون اكتساب الجزائر مقومات الدولة الوطنية، وأعاق تطور النظم الاجتماعية والاقتصادية وذلك ليخلصوا إلى مقارنته بالحضور الفرنسي، فالحكم التركي في هذه المقارنة غير العادلة كان يقوم على الاستبداد في نظرهم. [2]

ووصف هذا الحكم بالظلم والعدوان، بينما الحضور كان حسب استنتاجهم أقرب إلى العمل الحضاري منه إلى التدخل الاستعماري، وقد أدت هذه النظرة المغرضة للكتاب الفرنسيين إلى تجاهل الوجود التاريخي للشعب الجزائري واعتبار الجزائر منطقة فراغ حضاري تفتقر إلى

---

[1]– **المصدر السابق**، ص 34.

[2]– ناصر الدين سعيدوني: **المرجع السابق**، ص 27.

وجود شعب متماسك وأمة متكاملة، فبهذه النظرة لم تعدو الجزائر عن كونها منطقة جغرافية يتعاقب عليها الحكام وتنتقل عبرها القبائل المتنابزة والعشائر المتنافرة والجماعات المتطاحنة التي لا تخضع إلا للقوة، فالجزائر بهذا المفهوم كان ينظر إليها أنها جزء من الغرب اغتصب وافتك من طرف الشرق في مناسبتين: الأول عند الفتح الإسلامي (ق7م)، والثانية مع ظهور الأتراك(ق16م) .[1]

وحسب رأي الأجانب وخلاصة قولهم أن الإدارة التركية هي عبارة عن أداة تعمل لملىء أكياس الخزينة وجيوب الأقلية التركية الحاكمة المسيطرة، وهذا ما أكد علية الكاتب عبد الرحمان أشنهو ومولود قايد وكان قولهم: " الأتراك أجانب وقد ظلوا أجانب طيلة القرون الثلاثة وذلك لعدم تمكنهم من الاتصال بالسكان المحليين".[2]

ويعتبر هولان أن الجزائر جمهورية وتتشكل حكومتها من المجلس الأعلى أو الديوان [3] المتكون حسب تقريره من خمسة أعضاء في مقدمتهم الداي(رئيس الدولة والقائد الأعلى للجيش) ينتخب من قبل الجيش الانكشاري وهذا المنصب وكذلك الوظائف السامية حكرا على الأتراك الذين جاؤوا من الشرق الأوسط فقط،[4]وحسب رأيهم أن أبناءهم الكراغلة يمنعون من الوظائف الحكومية منعا باتا، والداي الحالي هو مصطفى باشا الذي يعتقد نفسه أنه أول ملك في الكون ويعتبر كل الامراء الاوروبيين تابعين له، فبعد الداي يأتي الخزناجي أو " وزير المالية " وهو يشرف على إدارة الشؤون العامة للجمارك و الخزناجي هو الذي يقرر كل شيء ويضاف إليهم وكيل الخرج وآغا الهلاليين وطائفة الرياس أو القراصنة، ولقد ورد في التقرير بأن القوات العسكرية تتمثل في الجيش البري

---

[1]– أبو القاسم سعد الله:" **منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر**"، مجلة الأصالة، العدد 14–15، 1973م، ص 12.

[2]– M.GAID: **l´Algérie sous les Tures**, Tunis, 1974,p6.

[3]– هو مجلس عام يضم جميع دوائر الدولة ويجتمع للبحث في القضايا الهامة ولتقرير السلم أو الحرب، وفيما يخص الدول الإسلامية استخدم المصطلح بمفهوم المجلس توثيقا لمجالسهم واجتماعاتهم، للمزيد انظر: كارل بروكلمان: **تاريخ الشعوب الإسلامية** ، تر: أرشد الهرمزي ، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 2005، ص ص ،50–56.

[4] – فريد بنور: **المرجع السابق**، ص 291.

والمدفعية والاسطول، فالجيش البري ينقسم بدوره إلى الجيش النظامي والذي يتكون من الاتراك والكراغلة وعرف بقوته، والجيش غير النظامي ويتكون هو الآخر من حضر وعرب كل المدن والقرى بالإيالة، وأكد هولان أن الإيالة بلد يحب الحرب ويعيش على القرصنة، وقد تحدث أيضا عن القضاء في الجزائر وقال عنه: أنه ليس معقد ويمتاز بالسرعة في التنفيذ ولا يتطلب انفاق الأموال، فالقاضي في المدينة يستمع إلى الشكاوي فيصدر الحكم مباشرة.[1]

فالجزائر كانت فيما مضى خاضعة للباب العالي ولازالت تحت حمايته لكن الداي لا يدفع حتى اليوم ضريبة له سوى عدد من الخيول العربية الأصيلة، وبعض الهدايا الأخرى التي ترسل إلى هناك سنويا غير أن هؤلاء الحكام يمارسون سلطة استبدادية ويبتزون الشعب ويفرضون عليه ضرائب فادحة، وينتخب الداي من طرف الديوان ويلزم بقبول تولي الحكم تحت عقوبة الموت، ونادر ما يؤمن منصبه دون شغب وإراقة الدماء وكثيرا ما يسقط بخنجر السفاك، والديوان يتشكل من أشخاص هو الذي اختارهم وهو الذي يبعدهم بناءا على رغبته حيث يجتمع الديوان في أوقات مهمة ليتلقى نصائحهم، أما سلطته فهي غير محدودة.[2]

أما بخصوص الداي فله فرقة عسكرية تسمى سولاك وهي ضرورية بعد الداي كاسان آغا الوزير الاول للدولة والذي يقوم بحفظ مفاتيح خزينة المال، بعد ذلك يأتي الموظف السامي أو قائد الانكشاريين والذي يعتبر من أقدم الضباط في الجيش، وبعد الآغا يأتي كاتب الدولة الذي يسجل القوانين العامة كلها، ثم يليه مسؤول العدالة الذي يسوي الخلافات بين الأهالي، ثم بعد ذلك يأتي وكيل الخرج المسؤول عن البحرية اما خوجة الخيل فهو مكلف بمخازن القمح في المدينة، وإلى جانب كل هذا هناك ثلاثون(30) شرطيا ثم تليهم طبقة السفراء.[3]

وذكر تيدنا أيضا أن الجزائر يحكمها الداي الذي ينتخب من قبل الديوان المتكون من ثمانين عضو، لكن هذا الديوان الذي يعتبر مجلسه ليست له أية سلطة إلا أثناء الانتخابات، أما

---

[1]- بنور فريد : **المرجع السابق**، ص ص، 291-299.

[2] - جيمس ولسن ستيفن: **المرجع السابق**، ص 164.

[3]- نفسه، ص- ص 164-166.

البايلكات الثلاث فعلى رأس كل منها بايا ينتخبه الداي، ويعين البايات في مناصبهم لمدى الحياة ولا يمكن عزلهم بأي حال من الأحوال، لكن حياتهم هي رهن في يد الداي.[1]

ولا يمكن لأي شخص أن يعتلي منصب الداي أو يكون عضو في الديوان إلا إذا كان تركيا أو ابن لتركي، ولقد سعي هؤلاء الدايات والبايات بالعدد القليل من الجند لديهم إلى قهر الأهالي الذين كانوا في نظر الأتراك رعايا.

ويقول الأسير تيدنا أيضا عن علاقة الحكام الأتراك بالسكان : " وهل يمكن التصديق بأنه لا تمر سنة إلا ويقوم البايات بتخريب وقتل جماعات سكانية بأكملها متذرعين في ذلك بحجج باطلة، فهمهم الوحيد نهب المواشي وبيعها فيما بعد للحضر، ووصف حملاتهم بالقرصنة والأعمال الشنيعة، فكان الأتراك يسلبون الرجال والنساء والأطفال وبعد ذلك تتم فديتهم، ومثال ذلك ما حدث عام 1775م بمدينة الجزائر عندما نزل الإسبان وقاموا بقنبلتها في عامي 1783م-1784م حيث رفض السكان دفع الضريبة أملا في تغيير الحكام، لكن سرعان ما دفعوا الثمن غال إذ قام الأتراك بسحقهم بعد انسحاب الإسبان مباشرة ومن بين الذين قتلوهم أرملة باي معسكر التي اتهمت بإخفاء الكنوز.[2]

ويعود وليام شالر إلى الحديث عن الداي والديوان فيقول: " و الواقع أنه منذ أن انتقل مقر الداي إلى القصبة يمكن اعتبار الديوان مجرد حبر على ورق، في دستور المملكة الجزائرية فقد أصبح الداي هو الذي يعين وزراءه بنفسه وهؤلاء الوزراء هم: الخزناجي والذي تتمثل سلطته في الشؤون المالية والداخلية، والآغا وهو القائد الأعلى والذي يمكن تسميته بوزير الحربية، ووكيل الخرج أو وزير البحرية والشؤون الخارجية وخوجة الخيل وهو المشرف على أملاك الدولة، وهذا هو الهيكل العام للجهاز الاداري في مدينة الجزائر حسب ما أكد عليه القنصل الأمريكي وليام شالر، وقد مدح هذا الاخير القضاء في مدينة الجزائر".[3]

---

[1]- فريد بنور: **المرجع السابق**، ص 262.

[2]- نفسه، ص ص، 264-266.

[3] - **المصدر السابق**، ص 43.

في مقابل ذلك تحدث الأسير تيدنا عن الحكومة التركية فقال: " بلا شك أنه لا يوجد فوق هذه الأرض حكومة أكثر طغيانا وأشد كره من تلك التي تحدثت عنها (الحكومة التركية) فلا أحد يشعر بالأمان والأمن في هذه البلاد الجزائرية ، سواء اتجاه نفسه او اتجاه ممتلكاته بل الملكيات الخاصة تعتبر جريمة في نظر هؤلاء " الطغاة "، وأكد أن قوة الإيالة زائلة وظرفية بسبب استبداد السلطة الحاكمة.[1]

بعد حديثهم عن الديوان والدايات وشكل الحكومة، ينتقل الرحالة إلى الحديث عن الاسطول الجزائري، حيث نجد ان لوماي[2] قلل من قيمة الأسطول الجزائري فإذا كانت الإيالة قد عرفت نوعا من الضعف في قوتها البحرية فهذا يرجع إلى الظروف الدولية السائدة آنذاك، تلك الظروف التي لا نجد لها أي أثر في المشروع (مشروع لوماي)، فالحروب التي اندلعت في أوروبا بعد قيام الثورة الفرنسية والحروب المعروفة بالحروب النابليونية في مستهل القرن التاسع عشر (19م) أوجدت ضعفا مضطربا في البحر الأبيض المتوسط خاصة في جهته الغربية وهو ما دفع الجزائر إلى بذل جهود محدودة في ميدان التسلح البحري من أجل تأمين مصالحها وحماية استقرار قرارها.[3]

ولقد حدثنا الرحالة الأجانب عن تسليح الجنود فقيل في ذلك: يسلح كل جندي من المشاة ببندقية ثقيلة جدا وبمسدس، ولا يعرف الجيش البري استعمال الحربة بل يجهلها تماما وقد كانت طريقة المشاة في خوض المعارك غير منتظمة على الإطلاق[4]

وفي مقابل ذلك انتقل جون بون سانت أندري إلى الحديث عن جيش الداي وتركيبته فقال: أنه ينقسم إلى جيش نظامي وجيش احتياطي، فالأول يقدر عدده ما بين10000و12000رجل ويتكون كله من الأتراك الذين جندوا من الأناضول فهو يمثل القوة

---

[1]– فريد بنور: **المرجع السابق** ، ص 264.

[2]– ولد عام 1772م بمدينة فيغا صاحب مشروع خاص باستعمار الجزائر، ولقد اقتصر نشاطه على المجال العسكري فقط، فهو رجل حرب وقد كان ضابط في المدفعية سنة 1792، للمزيد أنظر: نفسه، ص 128.

[3] – جمال قنان: **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث، منشورات المتحف الوطني للمجاهد**، الجزائر، (د–ط)، 1994م، ص36.

[4]– فريد بنور: **المرجع السابق**، ص 98.

الحقيقية للإيالة، وكان الداي يعتمد عليه اعتمادا كليا، أما الجيش الاحتياطي فهو الذي يتحرك وفقا لظروف معينة فيكون وفق وتحت تصرف وخدمة البايات في المقاطعات الثلاثة- قسنطينة، وهران، التيطري- ويتكون من الحضر، ولكنه مسلح تسليحا سيئا، وفي مقابل ذلك أكد واعترف جون بون سانت أندري على صعوبة تقدير قوة الداي بدقة في حال إذا قررت شن الهجوم على الجزائر.[1]

ويقسم تيدنا القوات العسكرية للإيالة إلى بحرية وبرية، وقال أن الجزائر تحترم أية راية وركز في حديثه عن القوات البرية فقال عنهم: أنهم مولوعون بالخيول ومنهم فرقة المشاة فتتكون كلها من الأتراك الذين جندوا في الولايات العثمانية أو من أبناء الاتراك أي الكراغلة، وهذه الفرقة عبارة عن عصابة من اللصوص والأشرار فكانت بذلك مصدر قلاقل للداي بسبب تمرداتها وفتنها ونزاعاتها المتواصلة.[2]

وإن رأي مورقان الذي جال في مختلف أنحاء إيالة الجزائر في الثلث الأول من القرن الثامن عشر (18م) يختلف تماما عن رأي الأسير تيدنا في هذه النقطة، حيث أنه ذكر في كتابة "الكامل في تاريخ الجزائر" بأن الجزائر مشهورة بحكومتها القوية وأنها وقفت لأكثر من قرنين ضد هجومات كثيرة، وليس هناك اليوم ما يجعلها في خطر من تلك الحملات فمن حق الجزائريين أن يكونوا شعبا بحريا قويا.[3]

ويرجع جون بون سانت أندري للحديث عن جيش الداي واخص بحديثه هنا فرقة الخيالة وقال: أنها تتكون كلها من الحضر وعددهم أكبر من المشاة بكثير لكنه غير ثابت، ولقد كانت القبائل الخاضعة لسلطة الأتراك وهي التي تمد الإيالة بهذه الفرق ذات البأس الشديد والملاحظ أن طريقة الفرسان في خوض المعارك غير منتظمة كما هو الحال بالنسبة للمشاة تماما، وهذه الطريقة تقوم على أساس الكر والفر.

---

[1]- فريد بنور: **المرجع السابق**، ص 242.

[2] - نفسه، ص 274.

[3]- ابو القاسم سعد الله: "**مدينة الجزائر في كتاب انجليزي قديم**"، مجلة الأصالة، السنة الثانية، العدد 8، ماي جوان 1792م،ص 29.

فالفارس يحارب بمعزل عن غيرة، يطلق النار ثم ينسحب إلى الوراء وكان الأتراك أثناء الحملات الداخلية يستعينون بالأسرى الأوروبيين نظرا لخبرتهم في الحرب. [1]

وفي مقابل ذلك تحدث الألماني ج أو هابنسترايت عن قوة الإيالة فقال: يمتلك الجيش المعروف بالحامية السلطة العليا بمملكة الجزائر، فهو يقيل الدايات ويعين آخرين مكانهم حسب رغبته وغالبا ما تنتهي حياة الدايات بالقتل، حتى أصبح الداي الذي يموت دون أن يتعرض للاغتيال فينظر إليه وكأنه ولي صالح ويصبح قبره محل تقدير لكون هذه النهاية نادرة.[2]

أما حديث القنصل الأمريكي وليام شالر عن القضاء في الجزائر فقال عنه : أن مملكة الجزائر معروفة بإدارتها الصارمة ولها قضاء يميزها عن باقي الإيالات العثمانية فقضاؤها كان عام في جميع حكومات الإيالة ولإدارة هذا القضاء يعين قاضي تركي وآخر عربي وكلاهما يعقد جلسات يومية للحكم في القضايا التي تعرض عليه،[3] أما الرحالة كارسي[4]فكان حديثه عن العلاقات الدبلوماسية الفرنسية الجزائرية وطبيعتها قد قام بزياره لمدينة الجزائر خلال القرن الثامن عشر (18م) فقال: فمنذ قرون من الزمن كان يسود بين المملكة الفرنسية والإيالة الجزائرية نوعا من الوئام التام ادى إلى انتعاش وتطور حركة التجارة، وبعد ذلك تحدث عن التجاوزات ومحاولة الجزائر خرق المعاهدات وبذلك سعي كارسي إلى إتباع سياسة التهديد والوعيد، ولكن هذه السياسة لا تجد نفعا لأن الجزائر تنظر إلى هذه الخطوة نظرة الساخر المستهزئ وأن الدايات غير مبالين بالتهديدات وبالتالي عدم خوفهم من أي دولة أوروبية، كما أكد أيضا على أن الجزائريين كانوا سيء التعامل مع الفرنسيين وخاصة القناصل لأنهم أكثر عرضة للعنف. [5]

---

[1]– بنور فريد: **المرجع السابق**، ص 191.

[2]–**المصدر السابق**، ص 31.

[3]–**المصدر السابق**، ص 48.

[4]–هو قنصل فرنسي ومبعوث كتب تقرير عن الجزائر وسلمه لوزرات الخارجية 1782م، كذلك أكد على النشاط القنصلي في الجزائر سيكون أصعب من النشاط القنصلي في اليونان ومصر، للمزيد انظر: فريد بنور: **المرجع السابق**، ص 21.

[5]– نفسه، ص 26.

المطلب الثاني: الجانب الاقتصادي.

تعتبر الفترة العثمانية في الجزائر حسب تقارير وكتابات الأجانب من أزهى الفترات التي شهدت فيها البحرية الجزائرية أو مدينة الجزائر عموما انتعاشا في مجالها الاقتصادي، فامتازت بشيوع العمران وتطور الزراعة وذلك نتيجة الظروف الملائمة المتمثلة في أرباح الجهاد البحري والتي مكنت كثير من الأتراك والحضر من حيازة الضياع خارج المدينة، وتكوين قوة هناك من العبيد والأسرى وكان اهتمامهم الأول والأخير هو الجانب الزراعي فقاموا باستصلاح الأراضي وغرس الأشجار المثمرة.[1]

وكذلك عرفت المدن الجزائرية ومن بينها مدية قسنطينة بنشاطها الاقتصادي وهذا ما أكد كل من الرحالة : " ديفونتين بيسونيل "، فيذكر أن جزء كبير من الأراضي المحاذية لمدينة قسنطينة هي أراضي زراعية يزرعها العرب ويحصلون على خمس المنتوج، وفي قسنطينة تقل الأبقار في حين تكثر الأغنام،[2]ومن المدن التجارية التي حافظت على روابطها الاقتصادية مع البلدان المجاورة هي تلمسان وقسنطينة، وهذا ما أكد عليه الرحالة الأجانب وذلك من خلال ما ورد في كتاباتهم، وكان ذلك خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد (16م-17م)،[3]ووصفوها بأنها ملتقى للقوافل التجارية سواء بتعاملها مع دول المغرب العربي، أو مع جميع بلاد السودان وعرفت المدن الجزائرية بأنها مدن تجارية، ويضيف مرمول قائلا : أن التجارة الرئيسية في البلاد التي يصدرون إليها بضائعهم هي تجارة الجزائر، حيث تتمثل في الحصول على الذهب والعنبر والمسك وغيرها من المنتوجات التي كانت بحوزة الإيالة وكانت تنطلق من قسنطينة عدة قوافل إلى تونس والصحراء محملة بالبضائع والمنتوجات الجزائرية وهذا

[1]- ناصر الدين سعيدوني : **المرجع السابق**، ص 395.

[2]- عبد الحفيظ بورايو و عبد الله حمادي: **المرجع السابق**، ص 140.

[3]- اندري برنيان وأندري نوشي وإيف لاكوست: **الجزائر بين الماضي والحاضر** ، تر: اسطنبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، (د-ط) ، 1984، ص154.

دليل على أن الجزائر كانت مركز تجاري وسوق استهلاكي وذلك راجع إلى نشاط الحركة التجارية آنذاك.[1]

أما شارل روفرانسوا في كتابه " فرنسا وإفريقيا الشمالية قبل 1830م" كان حديثه أن الجزائر تمتلك أراضي خصبة تمكنها من إنتاج العديد من المحاصيل الزراعية الذائعة الصيت في الأسواق الأوروبية وعليه فإن بلاد الجزائر تنتج الكثير من القمح والصوف والشمع إلى جانب كل ذلك وفرة المواشي وخزائنها مملوءة بالذهب.[2]

وأكد هذا الحديث القنصل الفرنسي جون باتيست ميشال دوكرسي[3] وقد تحث هذا الأخير عن خيرات الإيالة الجزائرية وقال: أنها الوحيدة في العالم التي لها ثروات طائلة وهي بلد يزخر بالثروات ولها حجم انتاجي يفوق التصور، وتتمثل ثرواتها في الذهب والمرجان واللؤلؤ والأحجار الكريمة والألماس، كذلك تحتوي هذه البلاد على ثروة حيوانية هائلة من المواشي اضافة إلى ذلك تتوفر على العديد من المحاصيل الزراعية المتنوعة الانتاج فهي بلد تجاري وزراعي بالدرجة الأولى ولكنه في نفس الوقت يرى أنها مازالت بحاجة إلى دولة اخرى لكي تساعدها على استغلال خيراتها.[4]

كانت الجزائر حسب رأيهم في فترة الآغوات والميلشيات قد دخلت العصر الذهبي للقرصنة خلال القرن السابع عشر (17م)، فأصبحت مدينة غنية وتجارية بامتياز تحتضن بين 100و150ألف نسمة وهو رقم لم تبلغه من قبل أبدا، حيث أن نشاط القرصنة كانت تعيش عليه مدينة الجزائر وعلى وجه الخصوص فترة ثراء من يمسكون بزمام الأمور السلطة والمدنية، وكانت أيضا هذه الفترة التي عرفت فيها المدن الجزائرية حسب أدبيات الرحالة الأجانب توسعا

---

[1]– اندري برنيان وأندري نوشي وإيف لاكوست : **المرجع السابق** ، ص ص، 154-155.

[2]– بوعزة بوضرساية: **الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19م**، منشورات المركز الوطني ، الجزائر، طبعة خاصة، 2007، ص22.

[3]– هو قنصل فرنسي في الجزائر ما بين 1782 م– 1791م كانت مدة إقامته في الجزائر طويلة وهو صاحب مشروع احتلالي ضد الجزائر، كان معروف بشدة كرهه للجزائريين، للمزيد أنظر: نفسه، ص 23

[4]– نفسه، ص 23.

معتبرا، ولعبت دورها كمراكز اقتصادية هامة وذلك من خلال الضرائب التي كانت تفرض على القبائل.[1]

أيضا تحدث القنصل بوتان عن الجانب الاقتصادي فقال: تشتغل الفئات الاجتماعية بمختلف القطاعات (الزراعية، الصناعة، التجارة، تربية الحيوانات)، فمملكة الجزائر بلد زراعي بالدرجة الأولى ورغم ذلك فإن القطاع الفلاحي مازال تقليدي وغير متطور، ولكن مقابل ذلك تحدث عن خيرات الأرض الجزائرية فهي تزرع أنواعا كثيرة من الخضر والفواكه مثل البرتقال و الاجاص ، اللوز، المشمش...الخ.[2]

تحدث الأسير تيدنا في مقابل ذلك عن الجانب المالي للدولة (الضرائب) وهذا الجانب متعلق بالخزندار[3] أي أن مهمته هي العلم بقيمة الذهب والفضة وكل عائدات المدينة (جمع الضرائب)، حيث أنه يجب أن يحافظ على مال الخزينة ويجمع ضرائب كل مقاطعة حتى يتفادى السلبيات التي يمكن أن تحدث وتؤثر على اقتصاد الإيالة ومورد ثراء الدولة، إذن فمهمته الاولى والأخيرة هي الحفاظ على مال الدولة.[4]

أما الاسرى الأمريكان فكان ملخص حديثهم أنه قليل ما يهتم الجزائريون بالفلاحة وتطوير بلادهم، وبالتالي أهملوا كل الموارد الداخلية أو الفوائد التي تزخر بها بلادهم بسبب انشغالهم بما تدره القرصنة، فهؤلاء القراصنة هم مكونون وموجهون لجلب السلع المطلوبة إلى المملكة إما عن طريق بضائع أو غنائم، وهم بذلك لا يهتمون بالجانب الفلاحي ولكن في نفس الوقت كان للمدينة نشاط اقتصادي منتعش ودليل ذلك عمليات التصدير: مثل ريش النعام والسجاد والنحاس والقطن والتوابل والزيت وبعض المصنوعات...الخ.[5]

---

[1] – العربي ايشبودان: **المرجع السابق**، ص ص، 31،33.

[2]– بنور فريد: **المرجع السابق**، ص 410.

[3]– يقصد به وكيل المال وفي الوقت نفسه ندير القصر ويحرص على الحفاظ على مال الايالة، للمزيد أنظر: عميراوي احميدة: **المرجع السابق**، ص 40.

[4] – نفسه، ص ص 43،45.

[5]– جيمس ولسن ستيفن: **المرجع السابق**، ص 172.

كذلك من جهة أخرى عرفت المدن الجزائرية خلال القرن السادس عشر (16م) وخاصة مدينة وهران نشاطا تجاريا وصناعيا واسعا لمواد العجين وجلود النعام والابقار والأغنام والعبيد والحبوب والخضر والنسيج...الخ، وكثر عليها تردد تجار المدن مثل البندقية وجنوة ومارسيليا، ليشتروا ما تشتهر به من بضائع وفي مقابل ذلك يبيعوا سلعتهم التي يحملونها إليها مثل الأقمشة والأسلحة وأدوات الخرز...الخ.[1]

كذلك اشتهرت مليانة بإنتاج مختلف الحبوب مثل الأرز وكانت مدينة ذات نشاط تجاري نشط جدا، فكانت غنية بالمنتوجات من الخضر والفواكه واللحوم ،وهذا ما أكد عليه الأسير تيدنا في مذكراته فقال : " تنتج مليانة هذه أرزا كثيرا، ولحما كثيرا من الدجاج" ولقد اكد هذا الحديث اغلب الرحالة الأجانب الذين زاروا مدينة الجزائر فأجمعت بذلك كتاباتهم على أن مدينة الجزائر مدينة تجارية وغنية بمواردها وثرواتها وعرفت حركة تجارية نشطة جدا وذلك راجع إلى حركة القوافل التي كانت تسير بينها وبين دول افريقيا جنوب الصحراء وهذه الحركة جعلتها تزدهر من الناحية الاقتصادية. [2]

وقد أكد تقرير ليني دوفيليفيك[3]عن الثروات الطبيعية لمدينة الجزائر فقال: أن الإيالة تزخر بالعديد من الثروات فالبلاد تنتج الأصواف الناعمة، والزيوت والحرير والشمع بوفرة كبيرة والأراضي تزرع فيها الأنواع العديدة من الخضر والفواكه مثل قصب السكر والقطن والبن والمشمش ....الخ، كما تتوفر الإيالة على المواشي والقطعان ولاسيما الخيول التي تعتبر من أجود الانواع التي تزخر بها الإيالة.[4]

وكذلك ظهر في تقرير تيدنا(مذكراته) أن الجزائر هي إيالة لها إنتاج وفير تزود به كامل إيطاليا والجزء الاكبر من الإمبراطورية الرومانية بالقمح والنبيذ والزيوت بأنواعها، أي لها

---

[1]– يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص 39.

[2]– عميراوي احميدة: **المرجع السابق**، ص 38.

[3]– ولد غابرييل **ليني** دوفيلفيك عام 1767م وتوفي عام 1851م عن عمر يناهز 84سنة ، امتهن السياسة منذ صغره ومارس النشاط الدبلوماسي، وكان قنصل بالجزائر وأعد مشروعه في 10جويلية 1827م (مشروع احتلالي) ، للمزيد أنظر: فريد بنور : **المرجع السابق** ، ص 447.

[4] – نفسه ، ص 450.

منتوجات وفيرة خاصة منها المناطق الجبلية غرب تنس والجزائر العاصمة بصفة أخص، فهي تنتج القمح والفواكه بأكبر صورة كاملة وتنتج الأراضي التمور باختلاف أنواعها والعنب واللوز والتفاح والإجاص ...الخ، والجزائر مليئة بالأسود والنمور والضباع والأفاعي الضخمة والجمال وبعض حيواناتها لها القدرة على انتاج الصوف، ومعنى حديثه هنا أن الإيالة الجزائرية كانت تتوفر على ثروة هائلة سواء حيوانية أو طبيعية.[1]

وفي مقابل ذلك كله فالقنصل الفرنسي هولان أنكر ذلك وقال أن الجزائر بلد غير تجاري ولا يعرف للنشاط التجاري أي شيء، ولكن اتضح العكس بأن الجمهورية الجزائرية دولة تجارية مثل الأمم الأوروبية فهي تصدر من مختلف الموانئ ولا سيما ميناء أرزيو ووهران الجزائر الذي يصدر حوالي 150 حمولة من القمح والشعير والصوف إلى مختلف الدول، وتصدر هذه المنتوجات إلى القورية ومارسيليا وجزر البليار وإسبانيا وجبل طارق ، ولشبونة هذا بالإضافة إلى الشمع والجلود والكتان والدواجن والثيران من موانئ دلس وعنابة وبجاية.[2]

أما الفرنسيون قد أكدوا أن مدينة الجزائر العاصمة هي عبارة عن مركز تجاري هام كبير، ونقطة التقاء كل المسافرين من الأهالي ومدينة الجزائر ذات ثروات طبيعية هائلة، وقد عرفت عبر مختلف الازمنة وخلال الفترة العثمانية بكثرة الانتاج الزراعي.[3]

أيضا أبحر الرحالة هايدو في هذا الجانب فقال عنه: هناك عدد لا يحصى من الحدائق و البساتين و الكروم المملوءة بشجر البرتقال وأشجار الزيتون، وبالأزهار وقد اشتهرت مختلف المدن الجزائرية بالزراعة مثل متيجة خلال الفترة العثمانية، وأيضا من المظاهر الاقتصادية انتاج الخمر الجزائري وهذا زاد من الاتصال مع الأوروبيين وكان هذا خلال القرن الثامن عشر ميلادي، وكان القمح من المحاصيل الزراعية الهامة في الجزائر والجزائر أيضا تمتلك ثروة هائلة من ريش النعام والتمور والشمع والصوف والجلود...الخ، والجزائر كانت معروفة بصناعة الشاشية[4] وهي من أهم المصنوعة في الإيالة.[5]

---

[1]– جيمس ولسن ستيفن: **المرجع السابق**، ص ص، 145–147.

[2]– فريد بنور: **المرجع السابق**، ص ص ، 295–301.

[3]– عبد القادر ميهي : المرجع السابق، ص 15.

[4] – هي لباس منسوج دائري حول الرأس ، شائع في أوساط المسلمين الشباب بالمشرق وبشمال إفريقيا كذلك، للمزيد أنظر: وليام سبنسر: **المرجع السابق**، ص 145.

[5]– نفسه، ص ص، 136–138.

ونجد أن كل من الأسير تيدنا والقنصل الفرنسي جون بون سانت أندري خصوا بحديثهم الثروات المائية والتي تزخر بها الإيالة واعتبروها مورد ثراء الإيالة حيث انها كانت تحسد عنها لأنها تتوفر على كم هائل من الينابيع والعيون المائية حيث ان هذه الينابيع في نظر الأجانب تزود جيش كامل وتسد حاجياته، لذلك كان ينظر إليها أنها مورد اقتصادي هام فالماء أساس الحياة وبه ازدهرت الحياة في الجزائر ولقد كان اهتمام الاجانب وبالأخص الفرنسيون به كبير جدا لأنهم يعتبرونه ثروة هامة ، ولقد كانت هذه الثروة المائية التي تحظى بها الإيالة الجزائرية حالها حال الثروة الحيوانية والطبيعية وفيرة وكبيرة.[1]

كانت الجزائر مركزا تجاريا هاما مما عرضها للعديد من عمليات القصف وأغرقها في حالة حرب شبه دائمة، وكانت الإيالة تدب بالنشاط والحيوية داخل الأسوار المحيطة بها من كل ناحية، لكن المؤرخون الفرنسيون أنكروا ذلك، واعتبروا نشاط الإيالة معدوم ولكن الحقيقة غير ذلك فالإيالة حسب تقاريرهم ومذكراتهم رغم انكارهم لذلك إلا أنها عرفت ازدهار خلال الفترة العثمانية حيث كان لها ثروة اقتصادية هائلة حقيقية بفضل عمليات القرصنة والعائدات المرجوة منه، وقد عرفت الإيالة في نفس الوقت نشاط فلاحي وصناعي لابأس به خلال القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر (17م-18م) ، وأصبحت بلد مصدر تقوم بتصدير العديد من المنتوجات سواء الغذائية أو المعدنية إلى الدول الأوروبية وهذا ما أكدت عليه مذكرات وكتابات الرحالة الأجانب والأسرى، [2]أيضا نجد أن العلاقات التجارية للجزائر مع الدول الأوروبية مثل فرنسا كانت لها نتيجة إيجابية حيث أن القنصل كارسي يعتبر أن التعامل مع الجزائر (الحركة التجارية بين الجزائر وفرنسا) سبب أكيد في انتعاش النشاط التجاري للجزائر وهذا يعود بالنفع على اقتصاد بلاده فرنسا، وازدهار تجارتها مع الجزائر أكثر من أي دولة أخرى.[3]

كذلك أكد القنصل وليام شالر على خيرات إيالة الجزائر وقال: أنها إيالة ذات إنتاج زراعي، ووصف مدنها وقال عنها أنها مدن زراعية وإنتاجية بالدرجة الأولى ومن بين هذه

---

[1]- فريد بنور: **المرجع السابق**، ص ص 244-274.

[2]- العربي ايشبودان: **المرجع السابق**، ص ص 58-60.

[3]- أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر** ، الشركة الوطنية، الجزائر، ط2، 1981م، ص ص ،276-277.

المدن عنابة فهي مركز تجاري هام حيث كانت محور لجميع العمليات التجارية التي كانت تقوم بها الشركة الفرنسية الافريقية، وعرفت بحركتها التجارية النشطة خلال الفترة العثمانية وهذا عاد بالنفع على الإيالة الجزائرية فأصبحت بلد مصدر بالدرجة الأولى وبلد منتج وبذلك تم عقد المعاهدات التجارية مع الدول الأوروبية .[1]

[1] – وليام شالر:المصدر السابق، ص 37.

المبحث الثالث: الجانب الاجتماعي والثقافي.

كانت الحياة الاجتماعية والثقافية لأهل مدينة الجزائر لها طابعها ومميزاتها الخاصة إبان العهد العثماني، منها ما بقي بعد الاحتلال ومنها ما قضي عليه ونستطيع أن نلتمس هذا من كتب تقاليد وعادات وأنماط العيش لدى مجتمع مدينة الجزائر من خلال ما كتبه الرحالة باختلاف أجناسهم وأصولهم وظهر ذلك من خلال دراستهم لكلا الجانبين فتنوعت كتاباتهم.

المطلب الأول: الجانب الاجتماعي.

تطرق لوماي إلى الحديث عن السكان حيث ميزبين ثماني فئات اجتماعية في الجزائر واعتبر بأن كل فئة تشكل شعبا له مميزاته وخصائصه فهو بذلك يرى بأن المجتمع الجزائري غير منسجم، بحيث يعيش فيه عدة أجناس بشرية فشمل المسيحين وكذلك الأسرى الأوروبيين والأتراك بالإضافة إلى السكان الأصليين.[1]

تحدث أيضا ج أو هابنسترايت عن عادات وتقاليد مدينة الجزائر فقال: تحددها ضوابط الشريعة الاسلامية، فالمسلم الصالح يتوجب عليه حسن معاملة أصدقائه، كما يطلب منه أن يكون شديدا مع أعدائه، وأشار هنا إلى معاملة الأسرى الموجودين في الجزائر فقد كانوا يعاملون بصورة حسنة عكس الاضطهاد الذي كان يعيشونه خارج الجزائر فكان أهالي الجزائر يعاملون كل أجنبي بطيبة خاطر ويدعونه إلى اعتناق الاسلام، وذلك دون أي ضغط.[2]

قام الفرنسيون من جهة أخرى بمدح سكان الجزائر عموما فقالوا: أن سكان الجزائر يتمتعون بحدة الذكاء، وذكاءهم غير عادي وهم في انتباه دائم بالنظر والسمع خاصة سكان الصحراء، ودائما لهم رؤية للأفق وهم المشاؤون الاكثر قوة في الصحراء فيمكن للواحد منهم أن يقطع ثلاثين فرسخا في اليوم راجلا.[3]

---

[1]– فريد بنور: **المرجع السابق**، ص 131.

[2]– **المصدر السابق**، ص 46.

[3]– عبد القادر ميهي: **المرجع السابق**، ص 22.

وصف لوماي أخلاق الجزائريين وملابسهم وتغذيتهم ومنازلهم وحياتهم الأسرية والدينية ولقد اعترف بتحليهم بصفة نبيلة وهي: النظافة والطهارة ولقد كان السكان يغسلون أيديهم وأرجلهم بطريقة منتظمة كل ساعة[1] كما يترددون مرة أو مرتين في الأسبوع إلى الحمامات الساخنة التي كانت تتواجد في كل المدن الجزائرية ولقد نسب لوماي الصحة الجيدة التي يتمتع بها الجزائريون في ذلك الوقت إلى هذه الحمامات التي انتشرت آنذاك، وقد عٌرفت مدينة الجزائر بتنوع أجناسها واكتظاظها بالسكان باختلاف أصولهم.[2]

تحدث بوتان أيضا عن سكان مدينة الجزائر وأحصى عدد كل فئة اجتماعية فالأتراك 8000نسمة، والسود 3500نسمة، واليهود 10000نسمة، واليونانيون أو الأرمنيون لا شيء أما الحضر 45000نسمة، والقبائل 4000 نسمة والعرب 1500نسمة فمجموع سكان مدينة الجزائر إذن أكثر من 73000 نسمة، وتتركب البنية الاجتماعية للسكان من الأتراك والكراغلة وهما الطبقة الحاكمة المستبدة، أما العرب فينقسمان إلى صنفين عرب السهول وعرب الجبال ولاحظ بوتان أن عرب الجبال أكثر شراسة فهم في حروب دائمة ضد بعضهم وفي حالة تمرد ضد السلطة الحاكمة. [3]

وفيما يخص البايات فقيل عنهم: أنهم يتمتعون باستقلالية كاملة في رسم سياساتهم المحلية، غير أنهم لم يكونوا يتدخلون في شؤون القبائل وكانت مهامهم هي جمع الضرائب وكانوا في بداية الحكم متسالمين مع أهالي مدينة الجزائر وهكذا وصفهم الرحالة الاجانب، وتتمثل الطبقات الاجتماعية في مدينة الجزائر كما يلي: الأتراك (سادة المدينة) ثم الكراغلة و المورسكيين ثم البرانية(الغرباء) وكل هذه الطبقات متعايشة مع بعضها البعض،[4]وفي مقابل ذلك ركز وليام سبنسر في حديثه عن الجانب الاجتماعي على اللباس والتجهيز المنزلي والتقاليد البيتية حيث قال: أنّ المجتمع الجزائري قلّد مجتمع القسطنطينية العثماني وأن ألبستهم كانت

[1]– يقصد بها الوضوء.

[2]– فريد بنور: **المرجع السابق**، ص 134

[3]– نفسه، ص ص، 408–409.

[4]– العربي ايشبودان: **المرجع السابق**، ص 51.

ذات ذوق عثماني، وكان لباس الرجل الجزائري ثوب فضفاض عريض متصلة جوانبه بأكمام يدعى الجلابة في المغرب الأقصى وفي تونس يدعى الجبّة وفي الجزائر يدعى برنوس، وقد لبس الجزائريون من غير الأتراك لباسا بسيطا، قميص من الكتان وسراويل في طول الركبة مطبقة وفي الشتاء لباس طويل حتى الركبة، أما المرأة حسب حديث شوShow فهي تلبس الحايك وتغطي رأسها بقماش وتتخلله بعض الخيوط الذهبية وهذا خاص بالمرأة الفلاحة، أما نساء المدن اتبعنا أناقة أكثر دقة وهذا نتيجة تأثرهن بشدة طراز القسطنطينية، فهن دقة يلبس لباس مزركش عريض ويتحجبن حتى عيونهن بقطعة قماش بيضاء.[1]

ويصف الرحالة " ديفونتتن "و " بيسونيل " المرأة القسنطينية أنها أجمل نساء الجزائر وأنها تبدو محافظة أكثر من غيرها، ولها فضل كبير في الاقتصاد، فهي تقوم بغزل الصوف وبيعه في الأسواق.[2]

ويقول بعض الرحالة عن حياة المرأة في مدينة الجزائر بأنها كانت في بيتها تقوم بشؤون أسرتها، وتربية أولادها تربية حسنة ولكنها لا تخرج إلى الشارع ولا تشارك الرجل في الحياة العامة وكان لها مجال خاص بها وأغلب النساء كانت تقوم بأعمال يدوية من خياطة وطرز ونسيج لذلك كانت المرأة الجزائرية خلال العهد العثماني تتمتع بمكانة عالية ومنزلة مرموقة داخل أسرتها بشكل خاص وفي المجتمع بشكل عام، لأنها كانت محافظة على منزلها ودينها وتحترم أسرتها وكذلك اتصفت بأخلاقها العالية وهذا ما تحدثت عنه أغلب التقارير والمذكرات الخاصة بالرحالة والأسرى الأجانب .[3]

---

[1]– وليام سبنسر: **المرجع السابق**، ص ص ، 10–107.

[2]– عبد الحفيظ بورايو و عبد اللهحمادي: **المرجع السابق**، ص 139.

[3]– فوزية ذلوخة: **المرجع السابق**، ص51.

أما الرحالة أرنولد توني[1] فقد وصف هو الآخر الحياة الاجتماعية لدى سكان مدينة الجزائر وخصّ بحديثه المجتمع الصحراوي فقال عنه: هم يعيشون حياة البداوة وتعتمد حياتهم على الرعي وتربية الماعز والإبل والغنم وقال أيضا: هي مثل حياة المدينة وهي أسلوب الحياة الناجحة وأكد هذا القول الرحالة فيّال، وقد قسم حياة البداوة إلى البداوة الرعوية والبداوة الحربية [2]

وفيما يخص الأسرى الأمريكان فقالوا في هذا الجانب: أن سكان مدينة الجزائر هم مزيج من أمم مختلفة مثل الأهالي وعرب الأندلس المطرودين، واليهود والانكشاريين وعدد كبير من الأتراك.[3]

وقد تحدث العديد من الرحالة عن تدهور الأوضاع العامة للجزائر خلال القرن الثامن عشر (18م) وذلك نتيجة تصرف الحكام وانعدام الأمن وشيوع الاضطرابات وظهور الأمراض الفتّاكة والآفات الطبيعية المدمرة.[4]

تحدث أيضا ميغل دي سيرفانتس عن الأتراك ووصفهم بصفة الاستبداد وسوء المعاملة وبالوحشية في تعاملهم مع الأسرى ومثال ذلك ما حدث له عندما كان أسير في الجزائر وقد تحدث عن المذلة والمهانة التي تعرض لها في عهد " رمضان باشا "[5] حيث أن الحكان الأتراك اساؤوا معاملته وقللوا من شأنه، وهكذا فقد وصفهم وقال أنهم طغاة لا يعرفون للطيبة أي معنى فهم حكام يعيشون على الاستبداد والظلم وإهانة الغير.[6]

---

[1]– مؤرخ بريطاني، درس التاريخ اليوناني والبيزنطي بجامعة لندن للمزيد أنظر: أحسن دواس: **المرجع السابق**، ص ص، 41–42.

[2]– نفسه،ص42.

[3]–جيمس ولسن ستيفن: **المرجع السابق**، ص 154.

[4]– ناصر الدين سعيدوني: **المرجع السابق**، ص 396.

[5]– أحد رياس البحر، تركي الأصل ، تولى الحكم في الجزائر 1574 م–1582م، للمزيد أنظر: محمد عبد الكريم أوزغلة: **المرجع السابق**، ص30.

[6]–نفسه، ص 30.

فالسكان حسب حديث الأسرى الامريكان كانوا خاضعين لحكم الطاغية المطلق ويمارس عليهم قمع وحشي من طرف سادتهم الاتراك الوقحين الذين رفضتهم شوارع القسطنطينية، فأصبح هؤلاء الطغاة يعيشون على السلب والنهب ووصفوا بالفساقة وأنهم يعيشون حياة المرح والبذخ على حساب سكان مدينة الجزائر.[1]

وقد وصف القنصل " ديبوا تانفيل " طبع كل من الداي والخزناجي ووكيل الخرج بالجهل والطغيان وأنهم لا يتمتعون بأي كفاءة سياسية، حيث كان طبعهم جشعا جدا وشرها بسبب حبهم للمال وقد عمموا بحديثهم هذا على جميع الأتراك فكان حديثه قد أكد حديث الذين سبقوه فكان جل حديثهم أن الأتراك هم حكام طغاة واستبداديين في تعاملهم مع الأهالي أو مع الأسرى والقناصل والمبعوثين الدبلوماسيين.[2]

ويعود انحطاط مدينة الجزائر حسب تقارير وكتابات الرحالة والأسرى والقناصل والمبعوثين إلى الكوارث الطبيعية والأمراض والأوبئة التي بدأت بالظهور عام سنة1786م، مثل وباء الطاعون الذي استمر قرابة عقد من الزمن وأدى إلى هلاك ثلث السكان، ولقد بدت هذه الكارثة كانهيار للمدينة مقارنة بما كانت عليه خلال القرن السابع عشر (17م)، وهكذا تراجع عدد السكان،[3]وأكد الأسرى الأمريكان على انتشار وباء الطاعون بمدينة الجزائر في 1787م وهو الأكثر ضررا والذي أدى بحياة عدد كبير من السكان فكان هذا المرض خبيثا جدا بحيث امتلأت الشوارع بجثث الموتى وقد أصيب هؤلاء الأحياء بالعدوى نظرا لمعاناتهم مما أثر عليهم فماتوا لأنهم لم يجدوا مساعدة وبذلك كانت النتائج سلبية بالنسبة لأهالي مدينة الجزائر.[4]

وعرفت البلاد الجزائرية أثناء العهد العثماني سلسلة من الهزات الأرضية العنيفة والتي تسببت في تخريب بعض المدن ونتج عنها الكثير من الخسائر في الأرواح والممتلكات ومن الزلازل زلزال سنة1632م وزلزال سنة1756م فيما يخص الجراد والجفاف .

---

[1]– جيمس ولسن ستيفن: **المرجع السابق**، ص 156

[2]– فريد بنور: **المرجع السابق**، ص 154.

[3]–العربي ايشبودان: **المرجع السابق**، ص 80.

[4]– ناصر الدين سعيدوني: **المرجع السابق**، ص 296.

وأيضا انتشرت هاتين الظاهرتين في العهد العثماني وتسبب ذلك في حدوث مجاعات إثر سنوات الجفاف وزحف الجراد ونتج عنه ظهور الأوبئة والأمراض وذلك يؤدي إلى هلاك السكان.[1]

ومن المواضيع التي تناولها لوماي في مشروعه" العدالة " وكانت أهم ميزة لاحظها في هذه القيمة الأخلاقية وهي " الصرامة في تطبيق النظام القضائي "، فالجزائر إذ عاشت في ظل العدالة الاجتماعية فكل من ارتكب مخالفة ينال جزاؤه وهذا ما أدى إلى الندرة في ارتكاب الجرائم ولهذا انتشر الأمن في ربوع الجزائر، ولقد صرح لوماي فقال: " نادرا ما سمعت الناس يتكلمون عن القتل أو السرقة وأنا لم أتعرض لأي إهانة ".[2]

وأكد ديبوا تانفيل من جهة أخرى على فساد الجهاز التركي بالجزائر وذلك من خلال النقص والتدهور الكبير في المنتوجات الجزائرية بسبب اهمال الأتراك لهذا الجانب وانشغالهم بحياة اللهو والمرح والبذخ والحياة الخاصة، فأصبحت بذلك الجزائر تعاني من الفقر والشقاء وتدهورت وضعية السكان وذلك راجع إلى تبني الحكام الأتراك لسياسة الهدم والنظام الضريبي الجائر

و يعتبر البسكريون الطبقة الأقل فقرا في مدينة الجزائر حسب ما أكد عليه القنصل لوماي والقنصل ديبواتانفيل وقالوا : انهم يقومون بالأعمال المتعبة وكان ذلك نتيجة لسياسة التسلط التي يتبعها الحكام الأتراك ضدهم ، ونجد أنهم كانوا في الليل ينامون في الشوارع على المقاعد ولكن رغم ذلك فكان طبعهم هادئ . [3]

[1]– ناصر الدين سعيدوني : **المرجع السابق**، ص 562.

[2]– فريد بنور: **المرجع السابق**، ص 134.

[3]– نفسه، ص ص، 203–450.

أكد وليام شالر أن المجتمع الجزائري مجتمع متعايش فيما بينه وتميزه عدة خصال حيث قال: أنهم يجتمعون في المقاهي وهنا ذكر الفئة المهتمة بالسياسة فهم يتناقشون ويتنبؤون بالأخبار وهذا الشارع هو الذي يقصده الجزائري ليزيل عن نفسه الملل والضجر، فيجلس في المقهى الذي يفضله ويتناول قهوته ويتبادل الأخبار ويلعب الشطرنج.[1]

في مقابل ذلك تحدث الأسرى عن الجزائريون وأكلهم، وصفاتهم فقالوا: " فالجزائريون يأكلون مثل الأتراك وبداية أكلهم بكلمة بسم الله وينهون أكلهم بغسل أيديهم وأفواههم ثم يشربون قهوتهم، فالجزائريون عامة لهم بشرة بيضاء وفيهم بعض السمر وهم أقوياء البنية وأجسامهم معتدلة ولهم خبرة في استعمال الأسلحة فالجزائريات جميلات بشخصهن والجزائري حسب الشريعة الإسلامية يمكنه أن يتزوج بأربعة نساء وهذا كان حديثهم العام فيما يخص الأهالي الجزائريين.[2]

ومن المظاهر التي تحدث عنها معظم الرحالة الأجانب خلال رحلاتهم داخل الجزائر وهي صفة الكرم وهو مظهر إيجابي يتحلى به المجتمع الجزائري ويبدوا ذلك غير مألوف بالنسبة للفرنسيين لأنه لا قيمة لديه عندهم، ذلك أن المجتمع الأوروبي مجتمع فردان يقدس الذات قبل كل شيء، فمثلا الرحالة" كلاماجرون " يشير إلى الكرم الجزائري على أنه كرم فخم عظيم وإن كان بسيط، فالعظمة تكمن في سلوكيات الجزائريين فيقول: " كرمهم يمتاز بنوع من الفخامة والعظمة وهذا يظهر من ملامح وجوههم المعبرة عن الوقار والترحيب"، وهذا الكرم يعتبر من أهم الخصال التي ميزت اهالي إيالة الجزائر عن باقي الإيالات العثمانية فعرفت الإيالة من ناحية أخرى بطيب أهلها واتسامها بصفات نبيلة كحسن الضيافة والبشاشة والفرح والمرح والذي يتحلى به معظم السكان.[3]

---

[1] – **المصدر السابق**، ص 97.

[2] – جيمس ولسن ستيفن: **المرجع السابق**، ص 157.

[3] – أحسن دواس: **المرجع السابق**، ص 92.

المطلب الثاني: الجانب الثقافي.

إن أغلب سكان مدينة الجزائر مسلمين والإسلام له قيمة عالية ومكانة مرموقة، فمدينة الجزائر تعيش في ظل الوحدة الروحية والسلطة والتجارة، وهكذا اتخذ الإسلام كامل أهميته في الجزائر التركية فالمجتمع برمته يستمد إلهامه من الإسلام وينتظم وفق تعاليمه، حيث كان في المدينة حوالي 159مسجدا وكان لهذه المساجد مكانة رمزية لا تعوض فهي ليست فقط مكان للصلاة والعبادة بل كانت ملتقى للسكان الأهالي في المدن الجزائرية، حيث تلعب المساجد دور هام في حياة الأهالي فالمسجد مكان للعلم ومدرسة للتعلم غير محدودة العدد، إنه الفضاء الحضاري حيث تنوع " اللهجات " يعادل تنوع " الأعراف " وهكذا فإن مدينة الجزار في تركيبتها الإنسانية تمتلك طابعا نوعيا ومتنوعا في الثقافة ومظهر عاصمة دولية.[1]

وفي مقابل ذلك يرى ديبوا تانفيل أن قبائل وعرب الجزائر لا يتقبلون أية محرر، فهم شعب متعصب للدين ومتمسك بتعاليمه الإسلامية، وكذلك أكد على دور الزوايا[2] وأهميتها وتأثيرها في نفوس السكان وركز في حديثه على فئة العلماء والفقهاء حيث قال: أنهم فئة تحظى بكامل التقدير والاحترام والإجلال من قبل أهالي الجزائر.[3]

والثقافة كما يقول: روجي غارودي[4] هي نمط حياة مجتمع إنساني وطريقة تعامله مع المجتمعات الإنسانية الأخرى ومع الله والحياة الثقافية لأي مجتمع مرهونة بنسبة القدرات الفكرية والذهنية لهذه المجتمعات، والمجتمع الجزائري كانت تميزه هذه القدرات مما جعل الحياة الاجتماعية حافلة بالعديد من المظاهر الثقافية وهذا أكد روجي غارودي أن المجتمع الجزائري له ثقافته الخاصة به فإذن هو مجتمع ثقافي بالدرجة الأولى.[5]

---

[1]– العربي ايشبودان : **المرجع السابق**، ص 50.

[2] – أنظر الملحق رقم 09.

[3]– فريد بنور: **المرجع السابق**، ص 194.

[4]– هو فيلسوف فرنسي، آمن بالإسلام وقال أنه دين المستقبل انتقد الارهاب الغربي وواجه الفكر الصهيوني للمزيد أنظر: روجي غارودي، موسوعة الجزيرة Al jazeeraencyclopedia ، 2015/6/15، الساعة، 18:55(مكة المكرمة) .

[5]– أحسن دواس: **المرجع السابق**، ص 132.

واكد الرحالة الأوروبيين ومن بينهم " شيمير" في رحلته إلى الجزائر على ثقافة المجتمع الجزائري فقال: لقد بحثت عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة غير أنني لم أعثر عليه في حين أني وجدت ذلك في بلد جنوب إفريقيا، ولذلك حظيت الثقافة بمكانة عالية عند الجزائريين وإن أطفالهم في المدارس والمعاهد دليل على ثقافتهم، وفي حال توفر المدرسين فإن الأطفال يتعلمون بسرعة خارقة، وجاء في تصريح السنياتور كومب أمام مجلس الشيوخ الفرنسي أنه كان بالجزائر قبل الاحتلال أكثر من ألفي معهد ثانوي، وأن نسبة الأمية في الجزائر أقل منها في فرنسا بالنسبة لتعداد السكان.[1]

أما الأسرى الأمريكان فقالوا: أن الجزائريين ليس لديهم آداب ويبدوا أن اللغة الأصلية لهذه البلاد كانت اللغة الفينيقية ثم أدخل العرب فيما بعد لغتهم وبعدهم الأتراك أما الأهالي فيستعملون الموريسكية أما سكان الجزائر فهم يتحدثون بصفة عامة لغة مركبة من العربية والموريسكية أما في العاصمة فيستعمل المسلمون والمسيحيون لغة" lingua fanca " وهي خليط من الإسبانية والبرتغالية والإيطالية والفرنسية.[2]

وفيما يخص الأسير تيدنا فكان حديثه في الجانب الثقافي عن الصوم والصلاة فقال: يصوم الجزائريين شهرا ولا يأكلون طيلة هذا الشهر إلا في الليل من طلوع الفجر إلى غروب الشمس لا أكل ولا شرب ولا تدخين، ولا تقرب من نسائهم ويلتزم المسلمون بهذه الأمور ولا يتلاعبون بها ويفضلون الموت على التخلي عنها، وكان الباي يقترب من الله بالجهاد في شهر رمضان وكان حريصا على صوم الأهالي، لذلك كان يعتبر الصوم ركن اساسي من الشعائر الاسلامية في مدينة الجزائر حيث أن الأهالي كانوا يهتمون بهذا الركن الذي هو دليل على ثقافتهم ومعرفتهم بأصول دينهم الإسلامي.[3]

---

[1]– أحسن دواس: **المرجع السابق**، ص ص، 132-134.

[2]– جيمس ولسن ستيفن: **المرجع السابق**، ص 161.

[3]– عميراوي أحميدة : **المرجع السابق**، ص50.

وفيما يخص الصلاة تحدث عنها الأسير تيدنا أيضا فقال: وقد كانوا إذا أذن المؤذن (الإمام) للصلاة ونحن جالسون نتحادث يقفون ويؤدون صلاتهم متوجهين نحو المشرق وقد عُرف الجزائريون بحرصهم على نظافتهم وصلاتهم وهذا ما رآه تيدنا أثناء فترة أسره في الجزائر حيث أنه تعلم الكثير من الكلمات والحركات التي كانوا يقومون بها أثناء صلاتهم.[1]

وأكد الفرنسيون أن المجتمع الجزائري مجتمع مثقف، له ثقافته المتميزة والمنفردة والتي تختلف عن أي ثقافة أخرى سواء من الناحية الفنية كالموسيقى والرقص أو من الناحية الادبية كالشعر والغناء والقصة الشعبية، وأكدوا أيضا أن النظام الاجتماعي في الجزائر له خلفيات دينية فيقول " دوني" : وحتى النظام الاجتماعي في الجزائر ذو مظهر ديني فالحاكم هو الخليفة الإمام ذو السلطة المطلقة... حتى في المناطق النائية عن الحكم (الصحراء) حيث ارتبط هذا النظام بشيخ من الشيوخ لدى الجزائريين، وكانت المدارس في يد رجال الدين ويتبعون مظاهر الطرق الدينية التي كانت لها تأثير كبير وأعطى للإسلام قوة وترابط.[2]

وتحدث الأجانب عموما عن المساجد وخصوا بحديثهم مساجد قسنطينة التي عرفت إقبالا من كافة أنحاء الوطن وهي سبع مساجد(جوامع) كبيرة، وهي الجامع الكبير، جامع سيدي عبد الرحمان، جامع سيدي عبد القادر، جامع إسماعيل، جامع سيدي الكتاني....الخ[3]

ويذكر الإسباني هايدو في كتابه إن مدينة الجزائر كانت بها مائة مسجد، حيث كانوا يهتمون بها ويولونها عناية كبيرة وكان لهذه المساجد العديد من الزوايا والمساجد الصغيرة والجامع وكانت لها أهمية كبيرة لدى سكان الجزائر.[4]

---

[1]– عميراوي احميدة: **المرجع السابق**، ص63.

[2]– أحسن دواس: **المرجع السابق**، ص 185.

[3]– عبد الحفيظ بورايو و عبد الله حمادي: **المرجع السابق**، ص 142.

[4]– فوزية ذلوخة: **المرجع السابق**، ص 44.

وكان من بين أدوار الجامع الأعظم لمدينة الجزائر حسب حديث هايدوا تأدية مهامه الدينية في الصلوات الخمس والجمعة والعديد من جمع المؤمنين وتقريرهم لمقاصد الشرع، مما جعل الأهالي لا يكادون يتركون السبحة من أيديهم وعندما ينتهي المسلم من صلاته يظل في مكانه لحظة دون أي حركة ويذكر " ديفلكس" : أن مدينة الجزائر لها مسجد كبير تلقى فيه الخطبة يوم الجمعة ويجلس فيه المفتي وتقام فيه صلاة العيد، ويقول رحالة آخرون عن المساجد أنها مكانة رمزية لا تعوض، فهي كانت دوما ملتقى للسكان.[1]

وأكد هذا الحديث الاسرى الامريكان فقالوا: أن سكان الجزائر كما هو معروف هم مسلمون، فالمفتي والقاضي من أولياء الله ويعدون من الشخصيات الدينية، فالأول هو المسؤول والثاني القاضي، يقاضي في المسائل الدينية وكذا القضايا المدنية، والثالث هو رئيس زاوية المؤمنين أو المتصوفين، فهؤلاء الأشخاص الثلاث مبجلون إلى حد كبير بعماماتهم ويوجد في الجزائر العديد من المساجد حيث يدفن هؤلاء الأولياء الذين يكرمون كأولياء وتسمى قبورهم بالأضرحة.[2]

وأكد وليام سبنسر أن للدين مكانة عميقة في مدينة الجزائر والاسلام يمتد على كل مظهر في حياة سكان الجزائر من الولادة حتى الوفاة وهذا ما أكد عليه وليام دافس فقال: أن الأتراك والجزائريين عموما شديدو التعلق بدينهم، وكل منهم يرتبط بكلمته حينما يقسم برأسه ويضع يده على جبهته ولقد كان هناك نظامان اسلاميان يجري العمل بهما في المدينة، الأول قاعدته المذهب الحنفي للأتراك والآخر يستمد مواصفاته من المالكية لبقية السكان المسلمين وكان هذا خلال القرن السابع عشر (17م)، ومعنى حديثهم أن المجتمع الجزائري مجتمع متمسك بدينه .[3]

---

[1] – فوزية ذلوخة: **المرجع السابق**، ص45.

[2]– جيمس ولسن ستيفن: **المرجع السابق**، ص 1.

[3]– **المرجع السابق**، ص 125.

ويرجع الأسرى الأمريكان للحديث عن الجانب الديني فيتبين لنا من حديثهم أنه من الناحية الدينية أن القيود كانت صارمة جدا في مدينة الجزائر، فالجزائريون يؤدون صلاتهم في الأوقات المحددة مثل أية أمة كانت فيصلون خمس صلوات في أربعة وعشرون ساعة ويرفرف علم أبيض على المساجد كدليل على بداية أوقات الصلاة، ولا توجد في مساجدهم مقاعد خشبية بل هي مفروشة على مستوى واحد وهنا يتساوى جميع أهالي الجزائر.[1]

بعد انتهاء الرحالة من الحديث عن الجانب الديني انتقلوا إلى الحديث عن الموسيقى الجزائرية التي تعد مظهر هام من مظاهر الثقافة الجزائرية، حيث أن هذه الموسيقى في الدرجة الأولى كانت ذات اهتمام من طرف الجزائريين، وكان طرازه شديد الحدة النغمية وقد تنوعت الموسيقى عندهم حسب فئات المجتمع فمنها الموسيقى الشعبية والموسيقى الأندلسية ...الخ والموسيقى هي وسيلة ترفيهية.[2]

وفيما يخص جانب اللغة العربية فأكد الرحالة الأجانب لنا من خلال ماتركوه من مذكرات وتقارير أن هذه اللغة هي لغة الجزائريين، وقد استطاعت هذه اللغة الحفاظ على مكانتها منذ الفتح الإسلامي للمغرب العربي لارتباطها بالدين الإسلامي والقرآن الكريم، وأكد ذلك العالم الأنثروبولوجي الفرنسي " ليون فيدراب" بقوله " أن اللغة العربية هي اللغة السائدة والأكثر انتشارا في الجزائر، وليست مقتصرة على القبائل العربية ،إذ أن الكثير من القبائل البربرية تبنتها كلغة تواصل، وهي تستحوذ على العقول لسلاستها، إضافة إلى ذلك نجد اللغة الأمازيغية وهي كذلك تنتشر بالجزائر وتنقسم إلى عدة فروع.[3]

وتنقسم اللغة الأمازيغية إلى: اللغة الزناتية وتوجد هذه اللغة عند قبائل الغرب إلى الحدود المغربية اللغة السلحية وتوجد عند قبائل المغرب، اللغة الشاوية وتوجد لدى القبائل التي اختلطت بالعرب، اللغة الزواوية وهي توجد بعنابة(بونة قديم).

---

[1]– أحسن دواس: **المرجع السابق**، ص 74.

[2]– نفسه، ص 121.

[3]– جيمس ولسن ستيفن: **المرجع السابق**، ص 242.

إلى جانب ذلك نجد اللغة الميزابية ولها مكانة معتبرة في مدينة الجزائر وهي لسان بني ميزاب سكان القرى السبع بغرداية، وهي لغة تفرعت عن اللغة البربرية وقد تحدث عنها كل من الرحالة " هودوس" وريني باسي في كتابه " دراسة حول بني ميزاب " وقد تعددت فروعها.[1]

ونرجع إلى الحديث عن الموسيقى التي يعتبرها الرحالة الأوروبيين مظهر ثقافي هام في مدينة الجزائر فهي فن تنظيم وتنسيق الأصوات والنغمات المصاحبة للكلمات أو الرقص أو الطقوس الدينية وتعتبر الموسيقى من مكونات ثقافة الشعوب وتراثهم، وعن الموسيقى الجزائرية تتمتع باللحن والإيقاع،[2] وأكد على ذلك الرحالة " شانوني" في كتابه " ذكريات رحلة إلى الجزائر والعودة عن طريق إسبانيا" فقال: " ثم انبعثت الموسيقى... وموسيقاهم متعددة وجميلة، فلا يمكن القول بأن العرب أجلاف وبلداء وأنهم لا يتذوقون الإيقاعات الجميلة.... وأني أرى عكس ذلك" ويقول أيضا أن الجزائريين منتشر بشكل واسع في الجبال وفي المدن وفي الواحات.

كذلك قام الرحالة " سولي" بمدح الموسيقى الجزائرية وقال أنه لا مثيل لها فهي تعزل المستمع داخل أحاسيسه الشخصية، وهكذا فإن الموسيقى الجزائرية لعبت دور كبير خلال العهد العثماني وكان لها دور بارز في تثقيف الفرد الجزائري وهذا ما أكدت عليه كتابات الرحالة الأجانب فهم قد اعتبروها مظهر هام من مظاهر الثقافة.[3]

[1]– أحسن دواس: **المرجع السابق**، ص 74.

[2]– نفسه، ص 137.

[3]– CHNONY: **Mémoire d´un voyage en Algérie et retour par L´Espagne**,Paris,1853,P 20.

خاتمة

بعد ليال نابغة وجهد جهيد، ها نحن أخيرا نقف على عتبات خاتمة بحث أخذ من عمرنا ومن جسدنا ومن فكرنا أملا في أن نكون قد وفقنا ووصلنا إلى غايتنا، في أن نكون مساهمين في إضافة ولو القليل من المعرفة حول الجزائر وما كُتب عنها والتي بقيت حلقاتها مفقودة ولا نقول ضائعة.

وما خلصنا إليه في بحثنا المتواضع وانطلاقا مما جاء في جل الرحلات عربية وأجنبية هو:

– أن مدينة الجزائر من المدن الأكثر عراقة في العالم، بما حازته من تاريخ وحضارة ومجد مجيد، ولقد عرفت هذه المدينة الاستقرار البشري منذ غابر الأزمنة، وفيها من المواصفات ما يجعلها بحق مدينة من أمهات المدن، حيث يؤكد ذلك ما تعرضت له من عمليات غزو متتالية، وبفضل موقعها الحصين ذي الأهمية الدفاعية كانت دائما واقفة ومتصدية لكل غزاتها والطامعين فيها.

– قد لعبت مدينة الجزائر على مر العصور والأزمنة أدوارا سياسية واقتصادية وكذلك ثقافية واجتماعية هامة وهذا ما أكدت عليه النصوص الرحلية، كما تميزت بأراضيها الزراعية ووفرة محاصيلها وكانت عاصمة نشطة تجاريا وصناعيا وذات ثراء ونعمة، كما أنها عاشت كغيرها من كبريات المدن حالات من اللاستقرار بسبب الثورات المختلفة.

– كذلك كانت مدينة الجزائر منتعشة ثقافيا، لسكانها فكر متطور من خلال المناظرات والمجادلات المتنوعة في المساجد والمدارس وقصور الخلفاء وكبار رجال الدولة، كما اهتم سكانها أيضا باقتناء العلوم الدينية وتعميمها في كامل قطر الإيالة مما زاد في حظوتها ومكانتها عند المسلمين، ومن هنا كانت قبلة الرحالين العرب الذين ركزوا في وصفهم لها ومشاهدهم على الحياة العلمية والدينية.

– كذلك نجد أن الرحالين الأجانب باختلاف أجناسهم وأصولهم سواء كانوا قناصل أو أسرى أو تجار أو عبيد ركزوا في كتاباتهم ووصفهم لمدينة الجزائر على الجانب الفني المعماري للمدينة، ووصفوا الطبيعة الخلابة التي حباها الله بها وكذلك أخصوا بوصفهم عادات وتقاليد مدينة الجزائر في تلك الفترة أي خلال مدة عيشهم في الجزائر.

– كما نستنتج أن هذه النصوص الرحلية(كتابات الرحالة) قد تباينت وجهات نظر أصحابها فيها وهذا دليل علىما يمتلكه أصحابها من طاقات ابداعية في متونهم السردية بمحيطات المدينة باختلاف نواحيها.

– أيضا تعد كتابات الرحالة من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية لأن الكاتب يستقي المعلومات والحقائق من المشاهد الحية والتصوير المباشر، مما يجعل قراءتها ممتعة ومسلية وقد دوّن الرحالة في مذكراتهم وتقاريرهم أخبارا ومشاهدا وأوصافا وتعليقات موجزة بأسلوب سلس حول مدينة الجزائر، فكانت كتاباتهم مصدرا هاما يعتمد عليه في الكتابات التي جاءت بعدها.

– كذلك تعتبر كتابات الرحالة مصدرا هاما فهي تدرس المدن وذلك لمعايشتهم الواقع عن قرب، ومن الرحالة الذين كتبوا عن مدينة الجزائر الرحالة العربي الحسين الورتلاني فقد وصفها بكل موضوعية وبأسلوب غلب عليه الخطابة الدينية لأن رحلته كانت رحلة دينية

– قدم لنا الرحالة وعبر فترات زمنية مختلفة صورة عن المجتمع الجزائري وذلك من خلال توغلهم داخل الحياة الاجتماعية والتعايش مع سكان المنطقة فلبسوا لباسهم وأكلوا من أكلهم، وهذا ما تحدث عنه الأسير تيدنا في مذكراته حيث أنه تعلم الكثير من العادات والتقاليد عن الجزائريين خاصة جانب الصلاة، الشيء الذي مكّن الرحالة من المعرفة الدقيقة بأحوال البلاد الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية...الخ.

– اما فيما يخص الخدمة التي قدمتها كتابات الرحالة في الجانب الجغرافي والعمراني فكان هدفها التعريف بموقع الجزائر ومجالها الطبيعي وتبيان حدودها، وبناؤها العمراني الذي أدهش أغلب الرحالة الأجانب فأبحروا وتعمقوا في الحديث عنه فتحدثوا عن المساجد والمقاهي والمنازل والدكاكين والأحياء .

– اما النواحي التي أبرزتها كتابات الرحالة في الجانب السياسي والاقتصادي هي الحديث عن الدخول العثماني وانضواء الجزائر تحت راية الدولة العثمانية وكذلك تحدثوا عن نظام الحكم والسلطة والادارة، وهنا اختلفت وجهات نظرهم فمنهم من مدح الحكم العثماني والبعض الآخر

كان ضده، ومن هنا تباينت كتاباتهم، كذلك تحدثوا عن ثروات الجزائر فقالوا عنها أنها مركز وقطب تجاري هام، وعرفت هذه الإيالة حركة تجارية نشطة خلال الفترة العثمانية وهذا زاد من تجارتها مع الخارج وتوسيع علاقتها من خلال حركة التصدير والاستيراد.

– وفيما يخص الجانب الاجتماعي والثقافي فكان جل حديثهم عن المساجد ودورها في تثقيف الفرد والمجتمع ، وتمثلت الخدمة في إبراز بساطة المستوى المعيشي والصحي ومكانة المرأة داخل بيتها بصفة خاصة والمجتمع بصفة عامة، وفي مقابل ذلك تحدثوا عن الآفات الاجتماعية والكوارث الطبيعية التي أدت بانحطاط إيالة الجزائر في تلك الفترة.

– نجد أن من بين الحوافز التي دفعت بالرحالة العرب إلى الاهتمام بالرحلة وتدوين أحداثها هو إحياء التراث العربي والتاريخي بصفة عامة، وأن مصادر التاريخ التركي نادرة جدا في مدينة الجزائر، وبفضل كتاباتهم أصبحت لدينا صورة عن مدينة الجزائر في تلك الفترة، وهي صورة واضحة .

الملاحق

ملحق رقم01: رحلة العياشي.[1]

[1] – مولاي بالحميسي: المرجع السابق، ص 95.

ملحق رقم 02: مدينة مليانة.[1]

[1] – ج أو هابنسترايت: المرجع السابق، ص 141.

ملحق رقم03: الجامع الكبير.[1]

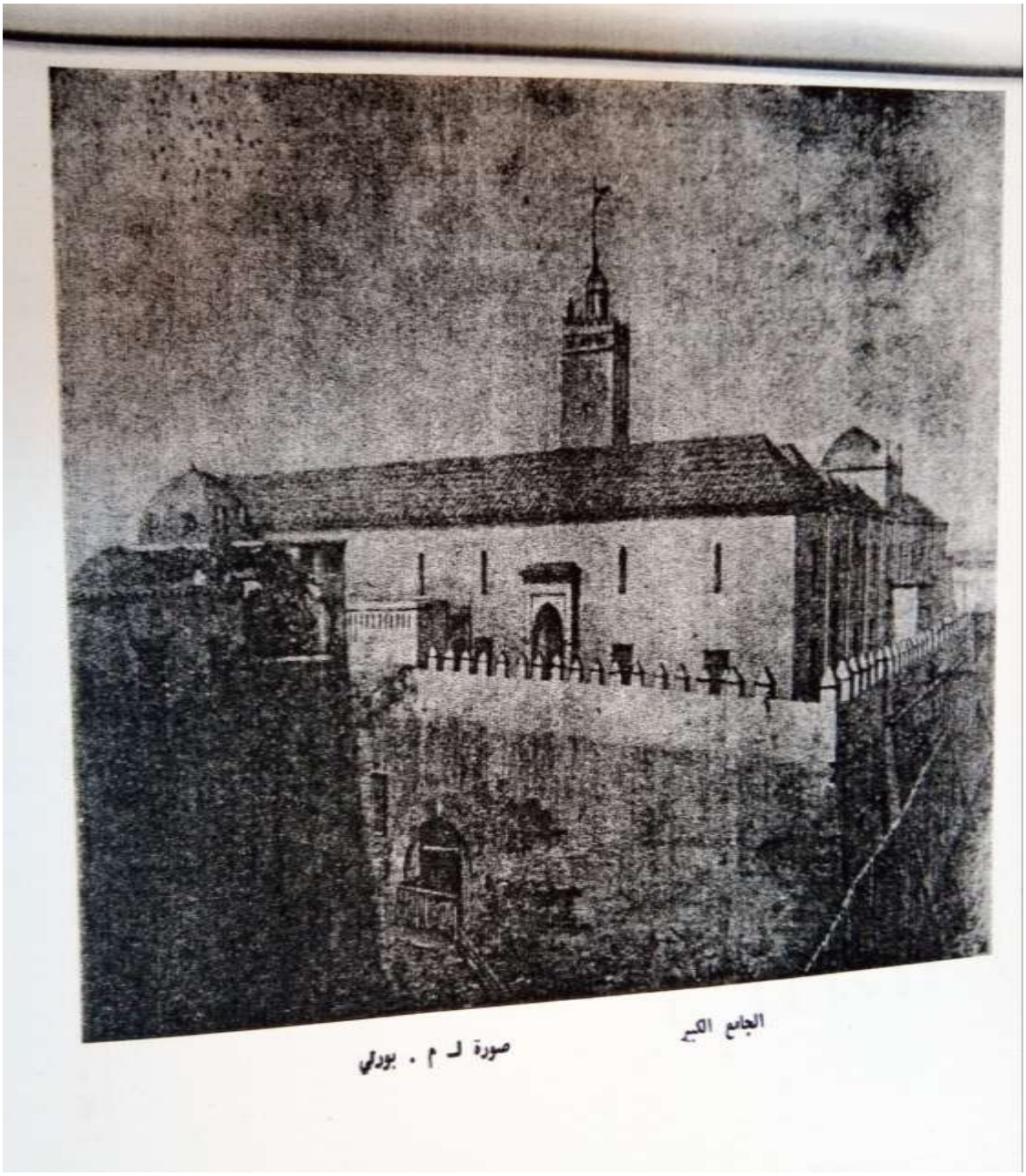

[1] – مولاي بالحميسي: المرجع السابق، ص 60.

ملحق رقم04: رحلة الزياني.[1]

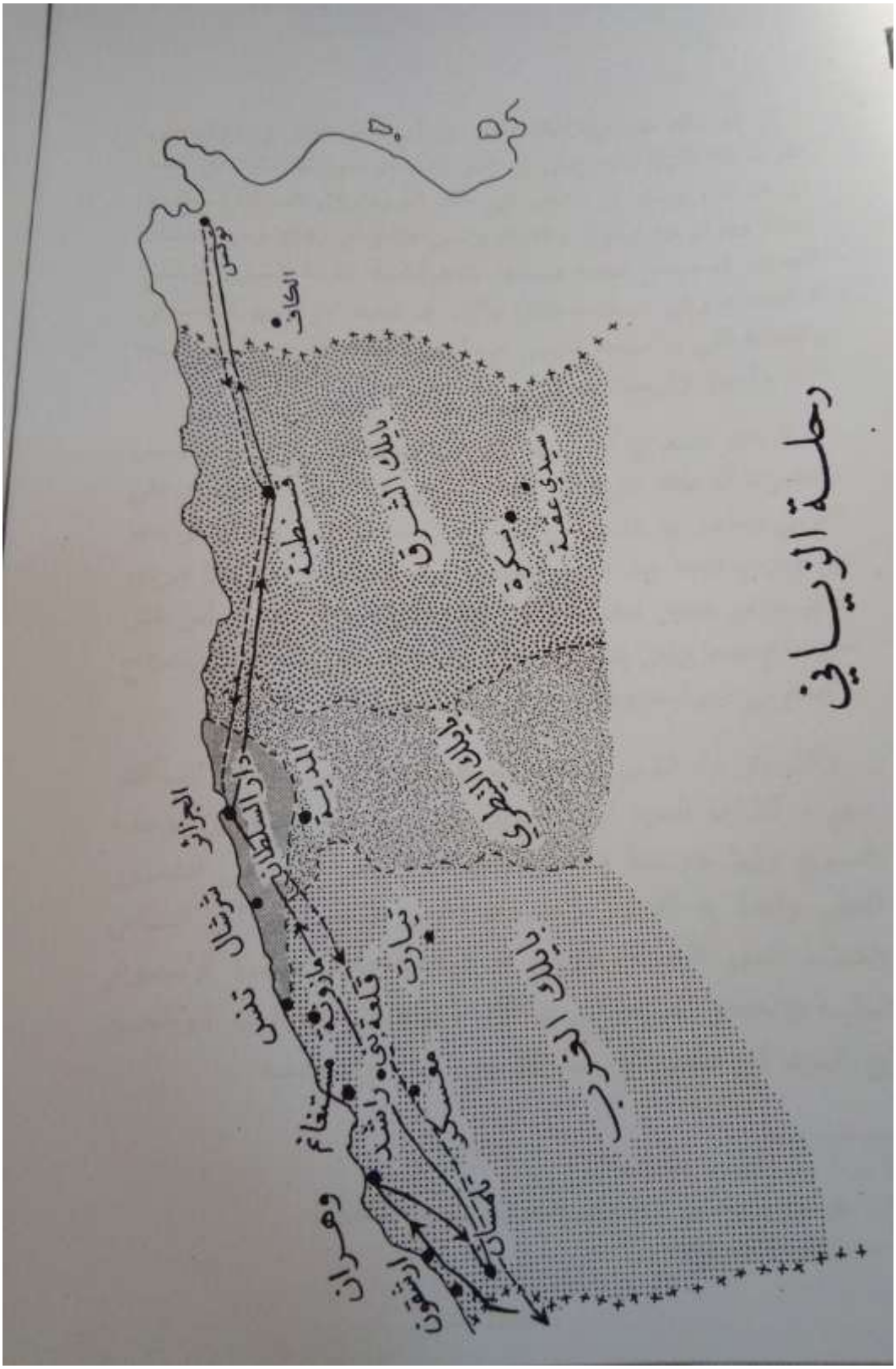

[1] – مولاي بالحميسي: المرجع السابق، ص 164.

الملحق رقم05: رحلة ج أو هابنسترايت..[1]

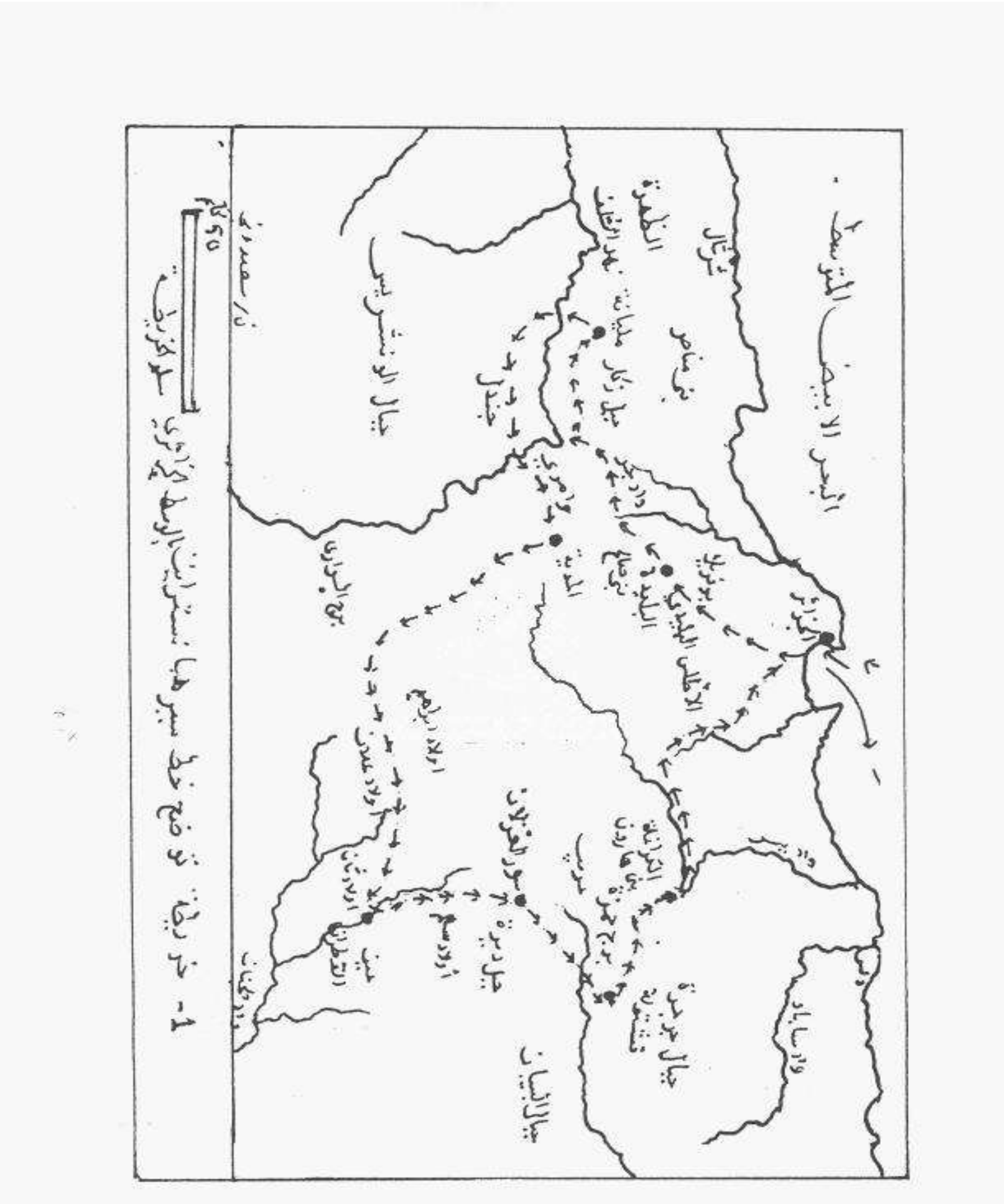

[1] – ج أو هابنسترايت: المرجع السابق ، ص 135.

الملحق رقم 06: وادي الرمال.[1]

[1]- بورايو عبد الحفيظ وحمادي عبد الله: المرجع السابق، ص 186.

الملحق رقم 07: الأبراج في مدينة الجزائر.[1]

[1] – خالد جوادي: المرجع السابق، ص123

الملحق رقم 08: قنطرة قسنطينة[1]

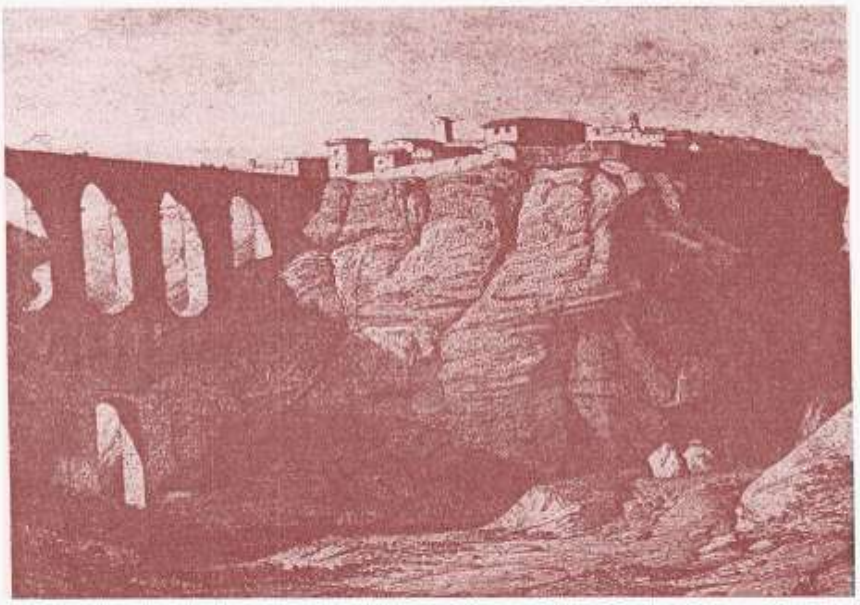

[1] – ج أو هابنسترايت: المرجع السابق، ص 146.

الملحق رقم09: منظر لزاوية قرآنية بمدينة الجزائر.[1]

[1] – ناصر الدين سعيدوني: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثماني (الجزائر– تونس– طرابلس الغرب) من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري(من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر هجري)، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، الحولية الحادية والثلاثون، قسم : مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، 1431هـ–2010م، ص 121.

قائمة المصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم.**

❖ **أولا: المصادر:**

- **باللغة العربية والمعربة.**

1.بن ادريس عبد الرحمان:**رحلة عبد الرحمان بن ادريس التنلالي إلى الجزائر العاصمة،** دار كردادة للنشر والتوزيع، (د- ب)، (د- ط).

2.الادريسي: **نزهة المشتاق في اختراق الافاق،** ج1،عالم الكتب، بيروت، ط1، 1989.

3.بفايفر سيمون: **مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر،** تع: ابو العيد دودو، الشركة الوطنية ، الجزائر، 1974، (د-ط).

4. التمكروتي علي بن محمد: **النفحة المسكية في السفارة التركية 1589،** تح: محمد الصالحي، دار السويدي، بيروت، ط1، 2007.

5.حسين محمد الخضر وآخرون :**خمس رحلات في الجزائر 1904-1932،** تح : محمد صالح الجابري ، دار السويدي للنشر والتوزيع : الامارات العربية المتحدة ،ط1، 2004.

6.الحفناوي ابو القاسم: **تعريف الخلف برجال السلف،** ق2، مطبعة بيرفونتانا، الجزائر،(د-ط)، 1906.

7.خدوسي رابح: **انطباعات عائد من مدن الجمال،** دار نورشاد، الجزائر، ط1، 2009

8. ابن خلدون عبد الرحمان: **مقدمته،** (د-ط)، بيروت، (د- س).

9.خوجة حمدان بن عثمان: **المرآة،** تقديم وتعريب : محمد العربي الزبيري، دار القصبة، الجزائر، 2006.

10. الراشدي ابن سحنون: **الثغر الجماني في الفتح الوهراني،** تح: المهدي البو عبدلي، عالم المعرفة ، عالم المعرفة، (د- ب)، ط1، 2013.

11. شالر وليام: **مذكرات وليام شالر قنصل امريكا في الجزائر 1816-1824،** تع: اسماعيل العربي، الشركة الوطنية، (د-ط)، 1982.

12. الشريف الزهار الحاج أحمد: **مذكرات نقيب أشراف الجزائر**، تح: أحمد توفيق المدني(1754-1830)، الشركة الوطنية ، الجزائر، ط2، 1980.

13. العبدري أبو عبد الله : **رحلة العبدري**، تح: على ابراهيم كردي، دار سعد الدين، دمشق، ط2، 2005م.

14. بن العطار الحاج أحمد بن المبارك: **تاريخ بلد قسنطينة**، تح: عبد الله حمادي، دار الفائز، قسنطينة، (د- ط)، 2011

15. الغزالي ابي حامد احمد بن محمد: **احياء علوم الدين**، ج2، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1986

16. الفاسي ابن زاكور: **نشر ازاهير البستان فيمن اجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء اكابر الاعيان**، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر،(د-ب)، 2011.

17. الفيلالي مختار بن الطاهر: **رحلة الورتلاني- عرض ودراسة**- دار الشهاب، الجزائر،(د-ط)،(د-س.

18. -كاربخال مرمول: **إفريقيا**، ج2، تر: محمد جحي وآخرون، دار المعارف، الرباط، 1989

19. محمد العياشي عبد الله بن: **الرحلة العياشية 1661-1663م**، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي، الامارات العربية المتحدة، مجلد1، ط1، 2006

20. الناصري أبو راس: **لقطة العجلان في شرف الشيخ عبد القادر بن زيان وأنه من بني زيان ملوك تلمسان**، (د-ط)، تح: حمدادو بن عمر، الجزائر، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011.

21. هابنسترايت ج أو: **رحلة العالم الألماني الى (الجزائر -طرابلس- تونس) (1145هـ-1732م)** ، تر: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الاسلامي، تونس، (د-ط) ،(د-س).

22. الورتلاني سيدي الحسين بن محمد: **نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار المشهورة بالرحلة الورتلانية**، تص: محمد بن ابي عنب، مطبعة بيرفونتانا، الجزائر، (د-ط)، 1908.

23. الوزان الحسن الحسن ابن: **وصف افريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد الاخضر، ج1، دار الغرب الاسلامي، لبنان،ط2،(د-س).

- **باللغة الأجنبية**

1. Abbeville(san sond): l'Afrique en plusieures cartse et divers traites de geographie et d´histoire etc, chez l´auteur Paris1656
2. CHNONY: Mémoire d´un voyage en Algérie et retour par L´Espagne,Paris,1853,
3. Hedo (FD): topographies et histoire générale d'Alger traduction: de monnerau et berbrugger, in reveue africaine,1872.
4. Piesse (L):L'odyesséeou diversité d'avanentures, rencontre et voyage en europe , asie et afrique ,divisée en quatre partiés : par le sieur du chastelet des boys , in revue africane n° 62,1866.

❖ المراجع:

* باللغة العربية والمعربة .

1. احميدة عميراوي: **الجزائر في أدبيات الرحلة والاسرى حلال العهد العثماني- مذكرات تيدنا نموذجا** ، دار الهدى الجزائر، (د-ط)، 2009.

2. أنساعد سميرة: **الرحلة الى المشرق في الادب الجزائري، دراسة في النشأة والتطور والبنية** دار الهدى، الجزائر، (د-ط)، 2009.

3. اوزغلة محمد عبد الكريم: **شهادات الاسر ومشاهد الكتابة- ميغل دي سيرفانتس في الجزائر 1575-1580** ، دار القصبة، الجزائر، (د-ط)، 2012.

4. ايشبودان العربي: **مدينة الجزائر تاريخ عاصمة**، تر: جناح مسعود وحاج مسعود مسعود، دار القصبة ، الجزائر، (د-ط)، 2007.

5. بالحميسي مولاي: **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،ط2، 1981.

6. برنيان اندري ونوشي أندري و لاكوست إيف: **الجزائر بين الماضي والحاضر** ، تر: اسطنبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، (د-ط) ، 1984.

7. بروكلمان كارل: **تاريخ الشعوب الإسلامية** ، تر: أرشد الهرمزي ، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 2005.

8. بنور فريد: **الجواسيس الفرنسيون في الجزائر1782-1830**، دار الواحة، الجزائر ،(د-ط) ،(د-س).

9. بوضرساية بوعزة: **الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19م**، منشورات المركز الوطني ، الجزائر، طبعة خاصة، 2007. ط2، 1981م.

10. بوعزيز يحي: **مدينة وهران عبر التاريخ ويليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الاوسط ويليه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري**، دار المعرفة، الجزائر(د-ط)، 2009.

11. التمكروتي علي بن محمد: **النفحة المسكية في السفارة التركية 1589**، تح: محمد الصالحي، دار السويدي، بيروت، ط1، 2007.

12. حليمي علي عبد القادر: **مدينة الجزائر نشأتها تطورها قبل 1830**، دار الفكر الاسلامي، الجزائر ، ط1، 1989.1792.

13. رمضان أحمد أحمد: **الرحلة والرحالة المسلمون** ، دار البيان العربي ، جدة ، (د-ط).

.الساوري بوشعيب: **صورة الآخر في رحلات عربية من القرن العاشر ميلادي الى القرن الواحد والعشرون**، دار النايا للدراسات والنشر، لبنان، ط1، 2014.

14. سبنسر وليام : **الجزائر في عهد رياس البحر**، تع: عبد القادر زبادية ، منتدى سور الازبكية ، دار القصبة، الجزائر، (د–ط)، 2006.

15. سعد الله ابو القاسم: **بحوث في التاريخ العربي الاسلامي**، دار الغرب الاسلامي، ط1، 2003، ص46 أو انظر: عبد العزيز بن عبد الله: **الرحلات من المغرب واليه**، دار نشر المعرفة، الرباط، ط1، 2001.

16. سعيدوني ناصر الدين: **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000.

17. الشامي صلاح الدين : **الرحلة عين الجغرافية المبصرة** ، دار المعرف ، للنشر والتوزيع الاسكندرية ،ط2، 1999.

18. ضيف شوقي: **الرحلات**، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1979 .

19. عبد الرزاق الموافي: **ناصر الرحلة في الادب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)**، دار النشر للجامعات المصرية– مكتبة الوفاء ، القاهرة، ط1، 1995.

20. عبد الهادي التازي :**ابن بطوطة أمير الرحال** ، الدار العربية للطباعة والنشر ،الكويت ، ط1، 2002.

21. العربي محمد: **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، الشركة الوطنية، الجزائر، (د– ط)، 1972.

22. فهيم حسين محمد: **ادب الرحلة**، دار عالم المعرفة ، الكويت، (د–ط)،1978.

23. فوزي مصمودي: **العلاّمة الموسوعي عبد الرحمان الأخضري ، شخصيته ومواقفه**، دار موفم، الجزائر ،(د– ط)، 2005.

24. قنان جمال: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، (د–ط)، 1994م.

25. قنديل فؤاد :**أدب الرحلة في التراث العربي** ،مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، ط2، 2002.

26. كروم عبد الله: **الرحلات بإقليم توات دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات**، دار حلب، الجزائر، (د-ط)،2007.

27. محمد يوسف نواب عواطف: **الرحلات المغربية والاندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين-دراسة تحليلية مقارنة**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، (د-ط)، 1996 .

28. محمود حسين حسني: **أدب الرحلة عند العرب** ، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، ط2، 1983م.

29. محمود محمدين محمد: **الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان** ، دار الخريجي للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط2، 1996.

30. ميهي عبد القادر: **الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسين الأوائل ودراساتهم** ، مطلعة مزوار، الجزائر، ط1، 2015.

31. نصار حسين: **ادب الرحلة**، مكتبة لبنان، (د-ب)، ط1 ، 1991.

32. ولسن ستيفن جيمس: **الأسرى الأمريكان في الجزائر 1785-1798** ، تر: علي تابليت، دار ثالة ، الجزائر، (د-ط)، 2007.

- **باللغة الأجنبية.**

1. GAID(M): l´Algérie sous les tures, Tunis, 1974

❖ الأطروحات و الرسائل الجامعية.

1. برادع زوبيدة وعيساوي فتيحة: **ادب الرحلة في الجزائر- رحلة ابن حمادوش الجزائري، "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال نموذجا** "، مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة والادب العربي، قسم اللغة والادب العربي، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، الجزائر،2015-2016.

2. بن عون محمد الحاكم: **اخبار وايام وادي ريغ للشيخ الطاهر بن دومة**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص: علم المخطوط العربي، قسم، التاريخ والآثار، كلية، العلوم الانسانية والاجتماعية، ج: منتوري قسنطينة، الجزائر، 2011/2010

3. بوعلاق نور الهدى و بوعبد الله وريدة: **الحياة الاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني (1519- 1671)**، مذكرة مكملة للحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، قسم: العلوم الانسانية، جامعة: الشهيد حمّة لخضر، الوادي، 2016-2017.

4. جوادي خالد: **مشروع مخطط وقائي لأبراج المراقبة ساحل تلمسان**، مذكرة لنيل شهادة ماستر في علم اثار وقائي، قسم: العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة: ابو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2015/2014.

5. حساني عثمان: **البيئة الاجتماعية والاقتصادية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الاجانب في القرنين الثامن والتاسع عشر** ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث، جامعة: الجزائر، 2006.

6. دركي صفاء: **الأنثبوغرافيا في ادب الرحلات – كتاب البيروني في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة- نموذجا**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الادب العربي، قسم: اللغة العربية وآدابها، جامعة حمة لحضر الوادي، الجزائر، 2014-2015

7. دواس احسن: **صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين- مقاربة سيسيوثقافية** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الادب المقارب ، قسم : الآداب واللغات، جامعة: منتوري قسنطينة، الجزائر، 2008/2007.

8. ذلوخة فوزية: **مدينة الجزائر ووصفها من خلال الرحالة الغربين (1750-1850)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث ، جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر، 2013/2012.

9. رحمون دليلة: **السياسة الزراعية الفرنسية في الجزائر أثرها على المجتمع الجزائري، (1830-1914)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر، ق: العلوم الإنسانية، ج: محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2012-2013.

10. روباش جميلة: **ادب الرحلة في المغرب العربي، مذكرة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الادب الجزائري القديم**، قسم: الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2014-2015.

11. عائشة محمد : **الاسرى الأوروبيون في مدينة الجزائر ودورهم في العلاقات بين الجزائر ودول الحوض الغربي المتوسط خلال القرنين السادس والسابع عشر** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، قسم: التاريخ، المركز الجامعي بغرداية، الجزائر،2012/2011.

12. عبد الحفيظ بورايو وعبد الله حمادي: **مدينة قسنطينة في أدب الرحلات**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الادب العربي ، قسم: اللغة العربية، كلية: الاداب واللغات، جامعة: منتوري قسنطينة، الجزائر، 2008/2007.

13. كنيوة وهيبة: **نظرة الرحالة والمستكشفين الفرنسين لمجتمع الجنوب الشرقي الجزائري** مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، قسم: العلوم الانسانية كلية : العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة: الشهيد حمه لخضر، الوادي، الجزائر2016/2015.

❖ المجلات والمقالات:

1.اسماعيل فاضل: "**الرحلة في طلب الحديث** "، مجلة آداب البصرة، العدد 38، (د-ب)، 2005.

2.سعد الله ابو القاسم: "**مدينة الجزائر في كتاب انجليزي قديم**"، مجلة الأصالة، السنة الثانية، العدد 8، ماي جوان 1792م.

3.سعد الله أبو القاسم: "**منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر**"، مجلة الأصالة، العدد 14-15، 1973م.

4.سعيدوني ناصر الدين: "**الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثماني (الجزائر- تونس- طرابلس الغرب) من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري(من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر هجري)**"، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية الحولية الحادية والثلاثون، قسم : مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، 1431هـ-2010م.

5.عبد القادر بلعربي: "**الرحلة الورتلانية محطاتها، ومصادرها المعرفية (115هـ-/ 1713م)**"، مجلة أفاق فكرية، العدد السادس، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر،(د-ط)، 2007.

6.مجهول:" **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، مجلة دعوة الحق**"، مجلة شهرية، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، المملكة السعودية، العدد 196، 30-40-2018، سا :19:30

❖ القواميس والموسوعات:

1. الشيرازي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي: **القاموس المحيط**، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، لبنان،2005م

2. روجي غارودي، موسوعة الجزيرة Al jazeera encyclopedia ، 2015/6/15، الساعة، 18:55(مكة المكرمة) .

3. وهبة مجدي: **معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب**، مكتبة، لبنان، بيروت، ط2، 1984.

❖ المواقع الإلكترونية:

1.التعريف بالقنصل شالر وبكتابه عن الجزائر، موسوعة أبليتون Appletons وموقع مشاهير أمريكا، 2014/5/4، ساعة،12:45.

2.جابر ألاء: نبذة مختصرة عن إبن بطوطة، موقع موضوع mawdoo3.com، 29-3-2016، ساعة: 9:27

3.موقع ويكيبيديا، 2018/5/4، ساعة،10:20

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان.....

فهرس المختصرات .....

مقدمة .....

مدخل: تاريخ الرحلة وتطورها

1-تعريف الرحلة:.....12

2- مفهوم أدب الرحلة:.....15

3- جذور الرحلة: 17

4- دوافع الرحلة :.....18

5- أنواع الرحلات : 23

6- اهمية الرحلة:.....27

الفصل الأول: الجوانب التي تناولهاالرحالة العرب في كتاباتهم حول الجزائر.

تمهيد.....29

المبحث الاول: الجانب الجغرافي والعمراني.....30

المطلب الاول: الجانب الجغرافي.....30

المطلب الثاني: الجانب العمراني.....34

المبحث الثاني: الجانب السياسي والاقتصادي.....40

المطلب الأول: الجانب السياسي.....40

المطلب الثاني: الجانب الاقتصادي. 45

المبحث الثالث: الجانب الاجتماعي والثقافي. 50

المطلب الأول: الجانب الاجتماعي.....50

المطلب الثاني: الجانب الثقافي.....53

الفصل الثاني: المجالات والجوانب التي تناولها الرحالة الاجانب في كتاباتهم حول الجزائر.

تمهيد :.....60

المبحث الأول: الجانب الجغرافي والعمراني.....61

المطلب الأول: الجانب الجغرافي.....61

المطلب الثاني: الجانب العمراني.....69

المبحث الثاني: الجانب السياسي والاقتصادي.....79

المطلب الأول : الجانب السياسي.....79

المطلب الثاني: الجانب الاقتصادي. 86

المبحث الثالث: الجانب الاجتماعي والثقافي. 93

المطلب الأول: الجانب الاجتماعي.....93

المطلب الثاني: الجانب الثقافي.....100

خاتمة.....104

الملاحق 110

قائمة المصادر والمراجع.....120

بحمد الله